

جامعة مولود معمري تيزي- وزو
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية



إستراتيجية حلف الشمال الأطلسي الجديدة في منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة ماستر في العلوم السياسية
تخصّص: دراسات شرق أوسطية

إشراف الأستاذة:

- وهيبة تباني

إعداد الطالب:

- وعمر سعودي

لجنة المناقشة:

- أسماء بن مشيراح..... رئيسة
- وهيبة تباني..... مشرفة ومقررة
- رتيبة برد ممتحنة

السنة الجامعية 2016/2015

كلمة شكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في الأرض و الحيتان في جوفه الماء و إن العالم على العابد فضل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. و إن العلماء ورثة الأنبياء، و إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهما، و رثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

بداية نشكر الله تعالى على نعمه علينا، الذي أمدنا بالصحة و العافية و الصبر لإنجاز هذه المذكرة المتواضعة ووفقنا في المشوار الدراسي.

أتوجه بخالص الشكر إلى الأستاذة تباني وهيبة على قبولها الإشراف على المذكرة وعلى ناصحتها القيمة و توجيهاتها.

كما أشكر لجنة المناقشة المتكونة من الأستاذة تباني وهيبة مشرفة والأستاذة برد رتيبة ممتحنة والأستاذة بن مشيرح أسماء رئيسة لقبولهم مناقشة مذكرتي.

و لا يفوتني شكر كافة أساتذة قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية الذين رافقونا في مشوارنا الدراسي و الطاقم الإداري لقسم العلوم السياسية خاصة موظفو مكتبة القسم.

شكراً

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أبي و أمي العزيزان

إلى زملائي في الدراسة تخصص دراسات شرق اوسطية

و إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل.

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي لمنطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: المقاربة المفاهيمية والأمنية للشرق الأوسط

المطلب الأول: التعريف بمنظمة الشرق الأوسط

المطلب الثاني: المقاربات الأمنية في الشرق الأوسط

المبحث الثاني: الأهمية الجيوستراتيجية والاقتصادية للشرق الأوسط

المطلب الأول: الأهمية الجيوستراتيجية

الأهمية الاقتصادية: المطلب الثاني

الفصل الثاني:

إستراتيجية حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط

المبحث الأول: التعريف بمنظمة حلف الشمال الأطلسي

المطلب الأول: تطور الحلف بعد نهاية الحرب الباردة

المطلب الثاني: توسع الحلف بعد نهاية الحرب الباردة

المبحث الثاني: إستراتيجية حلف الشمال الأطلسي في الشرق الأوسط بعد أحداث

11 سبتمبر 2001

المطلب الأول: أهمية المنطقة بالنسبة للناتو

المطلب الثاني: تدخلات الناتو في المنطقة [أفغانستان و ليبيا]

المطلب الثالث: مستقبل الحلف في المنطقة

الخاتمة

مقدمة

مقدمة :

شهد النظام الدولي بعد الحرب الباردة تزايداً في ظاهرة التدخل العسكري الفردي منه أو المتعدد الأطراف الذي أصبح يشكل ركيزة أساسية لحماية شخصية وسيادة الدول من كل تهديد أو اعتداء خارجي سواء كان ذلك التدخل مشروع أو غير مشروع.

إن منعرج انتهاء الثنائية القطبية والهيمنة الأمريكية على العالم تبنت الولايات المتحدة سياسية جديدة، خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تعتبر من أكثر مناطق العالم توتراً ومن أكبر البؤر الإستراتيجية التي أصبح الإستيلاء عليها عنواناً للتفوق العالمي نظراً لأهميتها ولموقعها الجغرافي. فمنه تظهر هذه السياسة الجديدة من خلال حلف شمال الأطلسي الذي بعد انتهاء الحرب الباردة شهد تطوراً ملحوظاً، حيث امتد نشاطه إلى منطقة حلف وارسو السابق وسعي لضم العديد من الدول إلى عضويته، لتتطور عقيدة الحلف خلال الفترة الممتدة ما بين عامين 1991 إلى 2001 من الردع إلى الدفاع عن المصالح الجماعية لأعضائه خارج أراضيه، أي أنّ الحلف انتقل من كونه دفاعياً إلى منطقة أمنية متمتعة بحق التدخل. خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي هزت قنوات كانت ثابتة بأنّ الولايات المتحدة تتمتع بحصانة دولية، فهذه الأحداث وفرت لإدارة بوش شرعية إيديولوجية غير متوقعة من أجل تجديد سياسة التدخل المسلح الغير المضبوط، والتي توقفت الولايات المتحدة عن تنفيذه منذ حرب الفيتنام. وذلك تحت ذريعة مواجهة الإرهاب.

1-أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع أنه ألقى صدى كبير على الساحة الدولية فهو ذو أهمية كبيرة في تفاعلات ونتائج تحول الحلف بأهدافه العسكرية والأمنية إلى منظمة سياسية ذات اهتمامات أكثر اتساعاً. وتبرز أهمية كذلك كونه يتناول أبرز أدوات الصراع على منطقة الشرق الأوسط.

2-أسباب اختيار الموضوع:

1-أسباب موضوعية:

تتمثل في البحث عن الأسباب التي دفعت الحلف إلى تطوير إستراتيجيته، والانتقال بها من تعظيم أهدافه في الحفاظ على القيم الغربية وتوطيد الأمن والسلام إلى البحث عن دور جديد يتمثل في الحرب على الإرهاب، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. وتظهر هذه الإستراتيجية من خلال الحرب على أفغانستان والعراق خاصة. وأيضاً للبحث عن الأسباب التي دفعت الحلف إلى توسيع مهامه.

2-أسباب ذاتية:

شغف معرفي بالمواضيع المتعلقة بالتدخل العسكري التي تعتبر من أكثر المواضيع الحساسة، خاصة لارتباط هذا الموضوع بمنطقة الشرق الأوسط التي تعدّ من أكثر المناطق توتّراً. وكذلك لمعرفة الأسباب التي دفعت بحلف الشمال الأطلسي إلى التغيير من إستراتيجية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وأيضاً رغبة مني لاستشراف مستقبل هذا الحلف العتيد.

3-أدبيات الدراسة:

هناك عدّة دراسات من كتب ورسائل علمية تناولت هذا الموضوع تتمثل أهمها في:

(1) دراسة للباحث "عدنان السيد حسين"، بعنوان: "التوسّع الأطلسي"¹.

هدفت الدراسة إلى البحث عن خلفيات إنشاء حلف الشمال الأطلسي، والبحث عن مدى مشروعيته في التدخل العسكري في أي منطقة من العالم إذ أنّ هذا الحلف عرف تقدّمًا وتوسّعًا في العضوية وهذا ما يجعله أهم وسيلة للغرب من أجل خدمة مصالحها. ومن أهم التدخلات التي قام بها هذا الحلف هو التدخل العسكري في كوسوفو، إضافة إلى التدخل العسكري في كلّ من أفغانستان والعراق بحجة مكافحة الإرهاب، إذ أنّ الحلف أصبح يطالب بتعجّب حركة طالبان، وتنظيم القاعدة، وفتح الأجواء أمام سلاح الجو الأمريكي بحجة مطاردة الإرهاب.

(2) دراسة للباحث "وئام محمود سليمان النجار"، بعنوان: "التوظيف السياسي للإرهاب في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر (2001-2007)"².

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أثر أحداث 11 سبتمبر على السياسة الخارجية الأمريكية، وكيف قامت هذه الأخيرة بتوظيف هذه الأحداث لخدمة مصالحها اتجاه الشرق الأوسط. إذ أثبتت هذا التوظيف السياسي للإرهاب في غزوها لأفغانستان والعراق باستعمال حلف الناتو، أي من خلال هذا الحدث استطاعت الحصول على دعم دولي يسمح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

¹- عدنان السيد حسين، التوسّع الأطلسي (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009).

²- وئام محمود سليمان النجار، التوظيف السياسي للإرهاب في السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر (2001-2007)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الأزهر: كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، 2012).

3) دراسة للباحث محمد عزيز شكري، بعنوان: "الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية"¹.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف حول التكتلات والأحلاف الدولية، وعن موقف القانون الدولي من مبدأ الأحلاف، وفحص مدى انعكاسات الأحلاف على السياسة العالمية سواءً بالإيجاب أو بالسلب وذلك من خلال إثبات أنّ الهدف الرئيسي من الأحلاف الغربية لا يتعدى حماية الدول الداخلية فيه. ففيما يخص حلف الشمال الأطلسي فلقد لعب دورًا بالغ الأهمية والخطر يوم كانت العلاقات الأمريكية السوفياتية تمر بمرحلة التصلب والمجابهة الحادة.

4) دراسة الباحثة شهرزاد أدمام: «استخدام القوة العسكرية في المحيط الدولي بعد الحرب الباردة (1990-2006)»².

تهدف الدراسة إلى البحث عن الأسباب التي تدفع الدول إلى استخدام القوة العسكرية في المحيط الدولي خاصة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت تحتكر القوة العسكرية من خلال تغيير إستراتيجيتها خصوصًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي لقيت إستجابة سريعة من الأمم المتحدة، فهذه الأحداث مثلت نمطًا جديدًا لاستخدام القوة العسكرية عن طريق حلف الناتو. وذلك يبرز انهيار النظرية الأمنية التقليدية التي كانت مبنية على مواجهة عدوّ مماثل واضح البنى محدّد في دولة معلومة الحدود، لتفسح المجال أمام نظرية أمنية أخرى قوامها التصدي لعدو عن طريق الضربة الأولى ويتجسد ذلك من خلال حربها على الإرهاب.

¹- محمد عزيز شكري، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978).

²- شهرزاد أدمام، استخدام القوة العسكرية في المحيط الدولي بعد الحرب الباردة (1990-2006)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة يوسف بن خدة: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2006-2007).

5) دراسة للباحث فتوح أبو دهب هيكل: «التدخل الدولي لمكافحة الإرهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية»¹.

تهدف الدراسة إلى البحث عن السلوك الدولي في مجال مكافحة لإرهاب باعتبار أنه يمثل تهديدًا للسلم والأمن الدوليين، خاصة بعد هجمات 11 سبتمبر التي استغلته إدارة بوش لشن ما عرف باسم الحرب العالمية على الإرهاب وذلك من خلال استعماله لحلف الناتو.

4-الإشكالية:

هل حققت الإستراتيجية الجديدة لحلف الناتو الأمن والإستقرار في منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر 2001؟

5-الأسئلة الفرعية:

- 1- ما هي الأهمية الجيو سياسية لمنطقة الشرق الأوسط؟
- 2- فيما تتمثل الإستراتيجية الجديدة لحلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط؟
- 3- هل حقق الحلف أهدافه في منطقة الشرق الأوسط؟

6-حدود الإشكالية:

الحدود الزمانية (2001-2013):

يعالج هذا الموضوع إستراتيجية الحلف الأطلسي اتجاه منطقة الشرق الأوسط بعد الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دولة في العالم، هذا الحدث

¹- فتوح أبو دهب هيكل، التدخل الدولي لمكافحة الإرهاب وانعكاساته على السيادة الوطنية (الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2014).

كانت له تداعيات على العالم خاصة على منطقة الشرق الأوسط، وكان لها أثر واضح في إعادة تشكيل السياسة الدولية وفي تغيير الإستراتيجية الأطلسية لتتحول فيما بعد إلى محاربة الإرهاب. وتمتد مدة الدراسة إلى غاية 2013.

الحدود المكانية:

تقتصر هذه الدراسة على دراسة وتحليل الإستراتيجية الجديدة لحلف الشمال الأطلسي في منطقة الشرق الأوسط.

فرضيات الدراسة:

1. صعوبة تحديد منطقة الشرق الأوسط، يعود إلى اختلاف الرؤى والتوجيهات ومصالح الدول بصفة عامة والقوى الكبرى بصفة خاصة.
2. توسيع مهام الحلف وتبينه إستراتيجية جديدة يساهم في تحقيق الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط.

7-الإطار المنهجي:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على بعض المناهج العلمية أهمها:

1. المنهج التاريخي:

هو ذلك المنهج الذي له القدرة التفسيرية التي يزودنا بها، هو يحاول أن يولي الزمن دوراً معيناً في التفسير وإدخال الظروف المحيطة بميلاد ظاهرة أو تعزيزها أو ضعفها أو إختفاءها في تفسير ذلك. فالمنهج التاريخي لا يكتفي بسرد الوقائع وتكديسها لكنه يقدم تصوره للظروف والمحيط الذي يحكم في ميلاد الظواهر وانتشارها ويحاول أن يصل إلى

إيجاد القوانين التي تحكمت في ذلك وهو يستهدف في التعميم بعد استخلاص العلاقات الموجودة بين ظاهرة أو حادثة ما أو الوضعية أو الحالة أو الظروف الذي وجدت فيه.

لذلك استخدمنا هذا المنهج لتتبع الجذور التاريخية لتطور حلف الشمال الأطلسي، ولفهم الأسباب التي أدت به لتغيير إستراتيجية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، باعتبار أنّ التاريخ يظل عنصراً مساعداً للتحليل السياسي فإنّه من الطبيعي سرد الأحداث والحقائق للحصول على المعرفة.

2. المنهج القانوني:

هو ذلك المنهج الذي يركز في دراسة الأحداث والمواقف والعلاقات والأبنية على الجوانب القانونية، أي يركز على مدى التزام تلك الظواهر بالمعايير والضوابط المتعارف عليها، والقواعد المدونة وغير المدونة، وبصيغة أخرى على مدى تطابق الفعل مع القاعدة القانونية. فالدراسة القانونية تركز على شرعية الفعل أو المؤسسة أو العلاقة أو عدم شرعية ذلك¹.

لهذا تم استخدام هذا المنهج لمعرفة مدى تطابق التدخل العسكري عبر حلف الناتو لمواجهة الإرهاب مع قواعد القانون الدولي.

وانطلاقاً مما سبق فإنه يتم الاعتماد على هذا المنهج من أجل دراسة تأثير ظاهرة الإرهاب على الإستراتيجية الأطلسية، باعتبار الأداة الأنسب لإقامة الترابط الوظيفي بين النظرية والتطبيق.

8-الإطار النظري:

¹ نفس المرجع، ص72.

1. النظرية الواقعية:

تعتبر من أبرز النظريات المفسرة للعلاقات الدولية المؤثرة في علاقاتها مع بعض، فلقد جاءت الواقعية لتدرس وتحلل ما هو قائم في العلاقات الدولية، وتحديدًا سياسة القوة والحرب والنزاعات. ومن المفاهيم المركزية للواقعية القوة، المصلحة الوطنية وتوازن القوى. مع اعتبار الدول أهم العوامل في السياسة الدولية¹.

ولقد اعتمدنا على هذه النظرية لتفسير موقع المصلحة الوطنية القومية لحلف الأطلسي في الشرق الأوسط بالإضافة إلى القوة وهاجس الأمن.

2. نظرية صدام الحضارات:

هذه النظرية أتت بها صامويل هنتيغتون الذي جعل من خلالها الحضارة المحور الذي تدور حوله السياسة العالمية باعتبار أنّ العامل الثقافي سيكون المصدر الجوهرى للتصادم في عالم ما بعد الحرب الباردة وهذه الصدمات الرئيسية سيتحدث بين الدول والمجموعات المنتمية للحضارات أخرى².

3. النظرية الليبرالية المؤسسية: الليبرالية الجديدة):

¹-خالد معمري جندلي، التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الفترة ما بعد الحرب الباردة دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد 11 سبتمبر، مذكرة ماجستير غير منشورة، (جامعة باتنة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2007-2008)، ص ص 81-82.

²-قيس ناصر راهي، دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصامويل هنتيغتون (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي 2012)، ص ص 5-6.

غالبا ما يستخدم مصطلح الليبرالية الجديدة néolibéralisme للدلالة على الليبرالية المؤسساتية الجديدة، وفي الممارسة السياسية لطرح مفهوم الليبرالية الجديدة في إطار الرأسمالية وقيم الديمقراطية الغربية، وقد تم تطوير الليبرالية الجديدة (الليبرالية المؤسساتية) في إطار النظرية المؤسساتية الدولية التي تشمل أيضا تيارين في حقل العلاقات الدولية يشتركون في الدور المركزي للمؤسسات الدولية وهذين هما التيارين هما: النظرية النقدية والأمن الجماعي وقد تم تطوير الليبرالية المؤسساتية سبعينات وثمانينات القرن العشرين من طرف منظري البراداييم التعددي أمثال روبرت كوهين وجوزيف ناي¹.

4. نظرية مقارنة الأمن الموسع:

بعد حماية الحرب الباردة ظهرت متغيرات أمنية جديدة، أصبح من خلالها مفهوم الأمر ذو طبيعة معقدة، فقد بداية الثمانينات أعيد التفكير في مفهوم الآخر، لتظهر مفاهيم جديدة للأمن، كالأمن الإنساني والأمن الشامل، وهذا الأخير ناتج عن ظهور نوع جديدة من التهديدات والتي غيرت من مفهوم الآخر.

مثلا قال ريتشارد إيلمان Richard Ullman حيث توسع مفهوم الأمن ليشمل مخاطر غير عسكرية، لكنها كالتهديدات العسكرية تهدد أمن الدولة².

فمنه هذه النظرية تظهر في موضوعنا من خلال دراسة أثر النظرية في تشكيل الواقع الدولي المعاصر، وتأثيرها في إستراتيجية الحلف الأطلسي، خاصة وأن نظرية صدام الحضارات لم تعدّ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 مجرد مسألة أكاديمية، وإنما

¹ -Gérard Duménil, Dominique Levy, le néolibéralisme sous hégémonie Etats-Unis, Paris : Ce Prema, P-eus, p,p 04-05.

² -ليندة عكروم، تأثير الأمنية الجديدة على العلاقات بين دول شمال وجوب المتوسط، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع.

أصبحت إستراتيجية عالمية يتبناها العالم الغربي عامة والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص اتجاه منطقة الشرق الأوسط.

9-الإطار المفاهيمي:

الشرق الأوسط:

هو اصطلاح جغرافي نتيجة تقسيمات سياسية ويعود استخدام تعبير الشرق الأوسط إلى الحرب العالمية الثانية، وهو يطلق اليوم على الأراضي المحيطة بسواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية والشرقية الممتدة من المملكة المغربية إلى الجزيرة العربية وتركيا وإيران¹. فمصطلح الشرق الأوسط يضم كل من بلدان الخليج العربي إضافة إلى لبنان، الأردن، العراق، سوريا، إيران، تركيا وإسرائيل.

الإستراتيجية:

يوصف مصطلح الإستراتيجية بأنه مصطلح حديث نسبيا. فهناك عدّة تعريفات تتفق على اعتبارها همزة وصل مهمة بين الوسائل العسكرية والغايات السياسية، بمعنى آخر، إنّها العملية التي تترجم من خلالها القوة المسلحة إلى نتائج سياسية مستهدفة². في حين هناك من يعرفها على أنّها فن كبار القادة العسكريون أو فن الأشياء العامة³.

¹ -وضاح عبد المنان، المعجم السياسي (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2006)، ص224.
² -جون ستون، الإستراتيجية العسكرية وأسلوب الحرب (الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2014)، ص11.
³ -نعمة كاظم هاشم، الوجيز في الإستراتيجية (ليبيا: المنشورات الأكاديمية، الدراسات العليا، 2000)، ص56.

منظمة حلف الشمال الأطلسي:

يشار أحيانا إليها بالناتو، وقد تأسست في عام 1949 ومقرّها في بروكسل، وهي موكلة بحماية أمن أوروبا الغربية، مفوضة تحديدًا بحماية حرية أعضائها وأمنهم، والحفاظ على الاستقرار ضمن منظمة أوروبا والأطلسي، وتولي أمر الأزمات الدولية، والعمل بصفتها منتدى استشاريا على قضايا الأمن الأوروبية، وأخيرا دعم قيم منظمة الأمم المتحدة وتعزيز الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والقانون الدولي أساسًا. فالناتو هي منظمة دفاع جماعية ترى في الهجوم العسكري على إحدى دولها الأعضاء هجوماً على الدول كلّها¹.

الأمن:

حاجة إنسانية ومن حاجات البشر الأساسية، لذا يؤثر الإحساس بفقده أو نقصه على كيان الفرد، المجتمع والدولة وبالتالي غيابه سيؤثر حتمًا على نمط العلاقات بين الأفراد، المجتمعات والدول.

يعرفه "باري بوزان" الذي هو أحد أبرز المختصين في الدراسات الأمنية على أنّه العمل على التحرر من التهديد، وفي سياق النظام الدولي فهو قدرة المجتمعات والدول على الحفاظ على كيانه المستقل، وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية².

الإرهاب:

هو استخدام العنف والتخويف بصفة خاصة لتحقيق أغراض سياسية³.

¹-مارتن غريفيثش، تيري أوكالان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية: (الإمارات: مركز الخليج للأبحاث، ط1، 2002)، ص16.

²-عبد النور بن عنتر، "تطوّر مفهوم الأمن في العلاقات الدولية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 160، 2005، ص56.

³-وائل محمود الكلوب، دور الإرهاب في السياسة الخارجية نحو بلدان الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر (2001-2009)، مذكرة ماجستير غير منشورة (الأردن: جامعة الشرق الأوسط، 2011)، ص ص 21-22.

كما يعرفه "لاكور" "Laceur" بأنه: عمل سياسي يتم توجيهه إلى هدف محدّد وهو يشمل استخدام التهديد المبالغ فيه، ويتم تنفيذه للحصول على التأثير المادي ويكون ضحاياه مجرد رموز، وليس بالضرورة أن يكونوا معنيين بشكل مباشر. والإرهاب يحتم الاستخدام المقصود للعنف أو التهديد باستخدامه ضد هدف وسيط يؤدي في المستقبل إلى تهديد هدف أكثر وهو بذلك يهدف إلى إشارة الخوف والقلق الداخلي لكي يتم إجبار الهدف على الإستسلام أو على تعديل موقفه¹.

التدخل العسكري:

هو قيام دولة أو مجموعة من الدول أو منظمة دولية، سواء حكومية أو غير حكومية بفعل تدخل في دائرة اختصاص دولة أخرى وذلك من خلال استخدام القوة العسكرية².

10-تقسيم الدراسة:

تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى فصلين:

- تناول الفصل الأول الإطار النظري والمفاهيمي لمنطقة الشرق الأوسط، وقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول تطرق إلى المقاربة المفاهيمية للشرق الأوسط، أما المبحث الثاني تم فيه التركيز على الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية للشرق الأوسط.
- عالج الفصل الثاني إستراتيجية حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط، المقسم إلى مبحثين، المبحث الأول تم فيه التطرق إلى التعريف بمنظمة حلف الشمال الأطلسي،

¹-[www.alifta.net/fatawa/fatawasetails.aspx?view=\(3\)page&pageID=13678&pageno=1&pageNo=1&BookID=2](http://www.alifta.net/fatawa/fatawasetails.aspx?view=(3)page&pageID=13678&pageno=1&pageNo=1&BookID=2).

²-ربيع رافعي، التدخل الدولي الإنساني المسلح، مذكرة ماجستير غير منشورة (جامعة الطاهر مولاي سعيدة: كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2011-2012)، ص 17.

والمبحث الثاني بعنوان الإستراتيجية الأطلسية في الشرق الأوسط، بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ومستقبل الناتو في المنطقة.

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي
لمنطقة الشرق الأوسط

تعتبر منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الإستراتيجية كونها منطقة تلتقي بها مجموعة من الديناميكية التي تؤدي إلى لعب مجموعة من الأدوار سواء كانت من قوى إقليمية أو دولية حيث شهدت تنوعاً بين مساعدات لوجيستية أو تدخل عسكري مباشر، ويعتبر هذا الأخير من بين أهم السياسات التي مارستها القوى الأطلسية تجاه منطقة الشرق الأوسط، فهذا التكيف الإستراتيجي للحلف الناتو يعتبر مبرر قويا لاستمرار سياسة القوة بالتالي لابد من إيجاد عدو بديل يعطي للحلف مبرراً لاستمراره فقد وجد ضالته في منطقة الشرق الأوسط هذه المنطقة التي تعتبر موقعاً هاماً في العقيدة العسكرية الجديدة للحلف، وهذا الفصل يعالج في المبحث الأول المقاربة المفاهيمية و الأمنية لمنطقة الشرق الأوسط حيث تمّ التفصيل في المبحث الثاني الأهمية الجيوسياسية و الإقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط.

المبحث الأول:

المقاربة المفاهيمية والأمنية للشرق الأوسط

سنحاول في هذا المبحث التطرق إلى مفهوم الشرق الأوسط، والمقاربات الأمنية في الشرق الأوسط.

المطلب الأول:

التعريف بمنطقة الشرق الأوسط

لقد كان تعبير الشرق الأوسط يطلق على الجزيرة العربية والخليج العربي وإيران والعراق وأفغانستان، وبعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة الإمبراطورية العثمانية من قبل الحلفاء الذي فرضوا سيادتهم على ولاياتها العربية السابقة، تطور مفهوم الشرق الأوسط ليضم المناطق المجاورة للجزيرة العربية والخليج العربي، كما أن اصطلاح العالم العربي الشائع الآن يستبعد إسرائيل وإيران من مفهوم اصطلاح الشرق الأوسط، ولكن اصطلاح العالم العربي مع ذلك يحتوي إيجابية وهي شموله لدول شمال إفريقيا المغربية، والتي تزداد شراكتها في الشؤون الإقليم بالرغم من الفشل الفعلي في تحقيق الوحدة السياسية لنصفي العالم العربي، وعلى هذا فإن اصطلاح الشرق الأوسط يبدو أنه سيظل مستخدماً لبعض الوقت، وأن شيوع الاستخدام لا يجب أن يجعلنا نعجز عن رؤية سلبيات الاصطلاح والتي من أهمها أنه يفترض سيطرة غربية على العالم¹.

¹- أحمد سليمان سالم الرحاحلة، الدور التركي الجديد في منطقة الشرق الأوسط، الفرص والتحديات، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، 2014، ص19.

استخدم هذا التعبير أول مرة عام 1902 بواسطة ضابط بحري أمريكي هو الكابتن "ألفريد ماهان"، صاحب نظرية القوة البحرية في التاريخ، وذلك في مقال له صدر في سبتمبر من ذلك العام في لندن بعنوان "الخليج الفارسي والعلاقات الدولية" ولم يذكر الكاتب البلاد التي يشملها هذا الاسم. وفي العام نفسه كتب "فالنتاين شيرويل" مراسل الشؤون الخارجية لجريدة التايمز سلسلة مقالات من أكتوبر 1902 حتى أبريل 1903 بعنوان "المسألة الشرق أوسطية"، ثم جمع هذه المقالات في كتاب صدر عام 1903 وكان موضوع المقالات هو الدفاع عن الهند وتتالي استخدام التعبير في هذه الفترة فصدر كتاب "هاملتون" بعنوان مشاكل الشرق الأوسط في لندن عام 1909، كما أشار إليه "لورد كيرزون" حاكم الهند عام 1911، حيث تحدث عن الشرق الأوسط باعتباره مدخل الهند، وهذا حتى الحرب العالمية الأولى، عرف الفكر الغربي ثلاثة مصطلحات: الشرق الأدنى وتركز حول الدولة العثمانية، والشرق الأوسط وتركز حول الهند، والشرق الأقصى وتركز حول الصين.

في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى بدأت دلالاته التعبير في التغيير فاستخدام تعبير الشرق الأوسط للدلالة على جزء من المنطقة الجغرافية التي يشملها الشرق الأدنى، وفي أول مارس 1921 أنشأ ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني إدارة الشرق الأوسط، لكي تشرف على شؤون فلسطين وشرق الأردن والعراق¹.

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتؤكد هذا المفهوم، فأنشئ مركز تموين الشرق وقيادة الشرق الأوسط، التي كانت تشرف على مساحة غير محددة تزداد. وتقل تبعًا لتطورات الحرب، فايران أضيفت إليها عام 1936. وأرتريا أسقطت منها في سبتمبر 1941، ثم أضيفت بعد ذلك بخمسة شهور.

¹-علي الدين هلال، جميل مطر، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، 2001)، ص 22.

وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ذاع هذا التعبير، وتحت الاسم يدرس الآن العديد من المواد في الجامعات، وتعدّ المؤتمرات العلمية، وتقام مراكز البحث والدراسة، مع ذلك فلا تزال هناك إختلافات عديدة حول تحديد المنطقة التي يشار إليها بهذا المصطلح.

فالبعض يرى أنه يشمل المنطقة التي تمتد من غرب مصر إلى شرق إيران والتي يسميها بعض الباحثين بغرب آسيا، أو أنها كل البلاد الآسيوية جنوب الإتحاد السوفياتي وغرب باكستان ومصر. ويحددها معهد الشرق الأوسط بواشنطن بشكل يجعلها تتطابق مع العالم الإسلامي، أي من المغرب إلى أندونيسيا ومن السودان إلى أوزبكستان، بينما يعرفها المعهد البريطاني الملكي للعلاقات الدولية بأنها تشمل إيران وتركيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب ومصر والسودان وقبرص، ويحددها أحد الكتاب بأنها تمتد من مصر غربا إلى إيران شرقا بحيث تضم الجزيرة العربية ومصر وإيران وإسرائيل والأردن ولبنان سورية وتركيا. وتعرفها الجمعية الإسرائيلية للدراسات الشرقية¹، في مجلدها السنوي الذي يصدر تحت اسم "سجل الشرق الأوسط" بواسطة معهد "شيلواح" للأبحاث، بأنها تضم المنطقة الممتدة من تركيا شمالاً إلى إثيوبيا والصومال والسودان جنوباً، ومن إيران شرقاً إلى قبرص وليبيا غرباً، وإن كانت الجمعية قد أسقطت قبرص في مجلد عام 1967، وفي مجلد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي يصدر سنوياً في لندن، تشمل المنطقة تركيا وإيران وقبرص ومنطقة الهلال الخصيب وإسرائيل وشبه الجزيرة العربية والعراق ومصر والسودان وليبيا وأفغانستان وتونس والمغرب والجزائر، ويلاحظ أن هذه البلاد الثلاثة الأخيرة تدخل باعتبارها من بلاد شمال إفريقيا، ومن ثم فإنها تخرج من تعريف الشرق الأوسط.

بل إن هناك من يعرف المنطقة بشكل يخرج منها مصر، فيذكر أنها مجموعة شعوب غرب آسيا التي تضم تركيا وسورية ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق، أي "المنطقة الممتدة

¹مرجع سابق، ص 23.

من البحرين الأسود والمتوسط إلى الخليج الفارسي، وتستخدم وزارة الخارجية الأمريكية كلا من تعبيرَي الشرق الأدنى والشرق الأوسط.

تعريف بيرسون، على سبيل المثال، وهو مستمد من دراسته عن المنطقة في عام 1964-1993، لا يتضمن السودان وبلدان المغرب العربي، ويلاحظ أنّ الدولة غير الوحيدة المتضمنة في النظام هي إسرائيل، أما بريتشرفمن الواضح أن تعريفه انطلق من مدى مشاركة الدول في الصراع العربي الإسرائيلي، ويلاحظ على هذا التعريف أنه يشمل المنطقة من قبرص¹ إلى الصومال إلى إيران، ويستبعد لإمارات العربية المتحدة، وبينما يعتبر إسرائيل من دول القلب فإن السعودية تنضم إلى الأطراف.

وتتفق كلّ التعريفات على أنّ مصر والعراق وسورية ولبنان والأردن تمثل قلب النظام، وإلى هنا ينتهي الإجماع، ويبدأ حول وضع إسرائيل وبلدان المغرب العربي وجنوب آسيا (باكستان، إيران وتركيا).

أن مصدر هذا الخلاف يعود في الأساس إلى غياب معيار موضوعي لتحديد نطاق النظام الإقليم الشرق أوسطي، بل وإلى البدء من مفهوم الشرق الأوسط أصلاً والذي كما أوضحنا ليس له دلالة جغرافية أو تاريخية، وإنه تعبير إستراتيجي يرتبط بتخطيط الدول الكبرى لمشاكل الأمن والدفاع في العالم.

ومن هذا العرض نتوصل إلى النتائج التالية:

1. إن مصطلح الشرق الأوسط لا يشير إلى منطقة جغرافية، بل إنه مصطلح سياسي في نشأته، وفي استخدامه.

¹ -مرجع سابق، ص ص 23-24.

2. إنّ هذه التسمية لا تستمد من طبيعة المنطقة نفسها وخصائصها البشرية أو الحضارية الثقافية أو شكل نظمها السياسية، بل تسمية إلى علاقة الغير بالمنطقة، فالشرق الذي يقال عنه متوسط يثير السؤال: متوسط بالنسبة لمن، وفي علاقته مع أي منطقة جغرافية أخرى؟ والسؤال نفسه يثار بالنسبة لمصطلح الشرق الأدنى¹.

3. إن هذه التسمية تمزق أوصال العرب ولا تعامله على أنه وحدة متميزة.

وذاع هذا المفهوم في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فلا تزال هناك اختلافات عديدة حول تحديد المنطقة التي يشار إليها بهذا المصطلح، وإن من أهم التعاريف الإقليمية للشرق الأوسط هو ما جاء في التعريف الإسرائيلي والتعريف الأمريكي:

1. **تعريف شمعون بيريس:** يؤكد شمعون في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" على أن هدفنا هو خلق جماعة إقليمية من الدول ذات شرق مشتركة وهيئات مركزية منتجة على غرار الجماعة الأوروبية.

ويطرح هذا التصور لدوافع ومراحل عملية تأسيس هذا التجمع الاقتصادي الإقليمي في سياق تحول الشرق الأوسط من المجابهة إلى السلام، ويشير إلى بعد جديد في تصور إسرائيل لمعادلة السلام تضيفه هذه الدعوة، وهي السوق الشرق أوسطية، وذلك بطرح فكرة الاندماج الاقتصادي لإسرائيل في اقتصاديات الشرق الأوسط، وقد حاول بيريس في دعوته إلى الشرق الأوسط جديد أن يبين أن أفضل طريق لبناء هذا الشرق الأوسط هو محاربة الفقر ولكي يتم إنقاذ مستقبل الشرق الأوسط لابد من توفير الأمان المطلوب لمواطنيه، فلا يكفي تسوية الخلافات بشكل ثنائي، أو حتى متعدد فالمطلوب هو بناء شرق أوسط جديد،

¹مرجع سابق، ص 25.

وضمن هذا الإطار يظل السلام هو الطريق الفعلي لتوفير الأمن ليس لهدف سياسي، لكن كإستراتيجية فالأمن المشترك وحده هو القادر على توفير الأمان الشخصي المطلوب للتركيز على حقيقة الشرق الأوسط بأبعاده الجديدة¹ بدلا من الاعتراف في الذكريات، ذكريات الانتصارات والحروب التي تخاض مرة أخرى.

إن تعريف "شمعون بيريس المنطقة الشرق الأوسط بأنه المنطقة الممتدة من ليبيا غربا حتى إيران شرقا ومن سوريا شمالا حتى اليمن جنوبا، إضافة إلى باكستان كونها دولة إسلامية وكما يشير للقبلة النووية الباكستانية بأنها قبلة إسلامية.

2-تعريف برجنسكي:

تحدث "بريجنسكي" مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق في عهد جيمي كارتر صراحة في كتابه "بين جيلين" عن ضرورة استمرار الوطن العربي مجزئاً. ودعا إلى خلق عوامل جديدة لبث الفتنة والخلافات بين الدول العربية، وقال: «إن الشرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة يجمعها إطار إقليمي، وعلى ذلك فسوف يكون هناك شرق أوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة الأمة. تتحول إلى ككتنونات طائفية وعرقية يجمعها إطار إقليمي كونفدرالي وهذا سيسمح للكانتون الإسرائيلي بأن يعيش في المنطقة بعد أن تصفي فكرة القومية»².

¹-أحمد سليمان سالم الراحلة، الدور التركي الجديد من منطقة الشرق الأوسط، الفرص والتحديات، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، 2014، ص ص 22-23.

²- مرجع سابق، ص 24.

المطلب الثاني:

المقاربات الأمنية في الشرق الأوسط

أولاً- مفهوم الأمن:

أ- في اللغة:

الأمن في اللغة يعني "الطمأنينة وعدم الخوف وهو أحد مصادر الفعل الثلاثي (أمن) بمعنى اطمأن ولم يخف".

كما يشير قاموس لسان العرب إلى أن "الأمن في اللغة هو نقيض الخوف فهو يمثل حالة لا يمكن فيها الفرد أو الجماعة أو الأمة عرضة للهلع أو الفرع أو الإضطراب أو توقع العدوان، كما جاء في لسان العرب أمن: الأمان والأمانة بمعنى وقد أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري من الأمن والأمان والأمن ضد الخوف، والأمان ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر والإيمان بمعنى التصديق. ضده التكذيب يقال آمن به قوم وكذب به قوم.

جاء أصل الأمن في اللغة طمأنينة النفس وزوال الخوف ولا يكون الإنسان آمناً حتى يستقر الأمن في قلبه.

ب- في الإصطلاح:

اختلف الباحثون في تعريف الأمن وفقاً لخلفية كل باحث فكرية والثقافية ومجالات اهتماماته، وأيضاً مع خبراته المكتسبة هذه الأمور والخلفيات لها دور كبير في تعريف أي مفهوم أو مصطلح فالبعض يركز على قضية السيادة وحماية الدولة من الخطر الخارجي¹،

¹سعيد عدلي حسن، الأمن القومي العربي واستراتيجية تحقيقه، (القاهرة: دار القومية، 1977)، ص11.

بمعنى تغليب الجانب العسكري، كما يهتم آخرون بالجوانب الاقتصادية وصيانة القيم الأساسية للمجتمع والتركيز على مفهوم الأمن الوطني.

ومن التعريفات يمكن ملاحظة اتساع وتنوع التعاريف، يعرف الأمن بأنه الشعور بالطمأنينة الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة ووقايتهما من الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي من خلال ممارسة الدور الثقافي الوقائي والقمعي والعلاجي الكفيل بتحقيق هذه المشاعر¹.

كما جاء في تعريف آخر أن الأمن إحساس الفرد والجماعة البشرية بإشباع دوافعها العضوية والنفسية وعلى قمتها الأمن المادي والنفسي المتمثلين في إطمئنان المجتمع، إلى زوال ما يهدد مظاهر هذا الدافع المادي كالسكن الدائم المستقر والرزق الجاري والتوافق مع الغير، والدوافع النفسية المتمثلة في اعتراف المجتمع بالفرد ودوره ومكانته فيه وهو ما يمكن أن يعبر عنه بلفظ السكينة العامة حيث تسيير حياة المجتمع في هدوء نسبي².

كما عرف الأمن بأنه الجهد اليومي المنظر الذي يصدر عن الدولة لتنمية ودعم أنشطتها الرئيسية السياسية والإقتصادية والإجتماعية ودفع أي تهديد أو تعريف أو إضرار بتلك الأنشطة³.

1- عبد الله، عماد حسين، إدارة الأمن في المدن الكبرى، الرياض: دار النشر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ص.32.

2- خنافع، محمد عبد الكريم، الأمن القومي، الجزء الأول، (القاهرة)، ص.10.

3- خنافع، محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص.20.

كما أن وولتر ليمان يعرف الأمن، «أن الدول تكون آمنة عندما لا تحتاج إلى التضحية بمصالحها المشروعة في سبيل تجنب الحرب وأنها قادرة في حالة التحدي على حماية تلك المصالح بشن الحرب»¹.

أما "روبرت ماكنمارا" فقد ركز على البعد الداخلي للأمن فصبر عنه «بأنه التنمية حيث القدرة العسكرية وحدها لا تكفي وغير قادرة على فرض الأمن أو الحفاظ عليه وإنما أساس الأمن يتمثل في بناء اجتماعي مستقر»².

بينما يعتقد الغزالي بأن "مفهوم الأمن لا يمكن أن يتحقق بدون أن يوضع في إطار من الرؤية القومية الشاملة التي تمنع التجزئة وتحول دون التفكك والتي تحقق التكامل في مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية»³.

كما ورد من التعريفات يمكن ملاحظة تباين نظرات المفكرين والباحثين فهناك اتجاه ينظر إلى القدرة العسكرية كجوهر للأمن، واتجاه إلى الأمن كإجراءات يجب أن تتخذ لحماية كيان الدولة ويلاحظ على هذين الاتجاهيين أن أيا منهما لم يتطرق إلى مسألة رسم السياسة الأمنية لقطر أو عدة أقطار عربية وإنما وقف عند حد توصيف المقصود بالأمن وعناصره والتهديدات التي تواجهه.

أما الاتجاه الثالث فيركز على القدرات اللازم توافرها من أجل مواجهة المخاطر التي تهدد البلاد⁴.

¹-الدليل، عبد الله إبراهيم، فلسفة الإستراتيجية القومية ودور مجلس التعاون لدول الخليج العربي في تحقيق أمن الخليج، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض: أكاديمية ناصر العسكرية، ص30.

²-ماكنمارا روبرت، جوهر الأمن (يوسف شاهين، مترجم) القاهرة: الدارة القومية، 1972، ص120.

³-حرب أسامة الغزالي، أمن الخليج والأمن القومي العربي، بيروت: الدار العربية، 1984، ص98.

⁴-المشاط عبد المنعم، نظرية الأمن العربي المعاصر، القاهرة: دار الموقف العربي، 1987، ص27.

كما تناول البعض مفهوم الأمن الذي يدور حول حماية القيم حيث يذكر وولفر أن مفهوم الأمن من الناحية الموضوعية يعني حماية القيم التي تم اكتسابها بينما ينتهي كل من تريجر وكرونبرج إلى أن القيم القومية الأساسية تشكل جوهر الأمن¹.

ثانياً- تطور مفهوم الأمن والدلالات النظرية للدراسات الأمنية:

سيطرت المقاربة الواقعية التقليدية على مفهوم الأمن باختزاله في المجال العسكري، حيث تم النظر لمفهوم الأمن من زاوية القوة العسكرية للدولة العسكرية، القومية، فالواقعيون يعتبرون أن الأمن مشتق من القوة، وإن كانت ظهرت دراسات خاصة بدول العالم الثالث أظهرت دور العوامل السياسية في المسألة الأمنية.

رغم ثراء السياسة الدولية وتعددتها بمجموعة من النظريات والمقاربات إلا أن الواقعية استحوذت على مساحة أوسع من نقاشات وكتابات باحثي العلاقات الدولية، كما أنها استمدت قيمتها من كونها نقطة انطلاق تأسيسية لجل النظريات التي تبعتها، سواء جاءت هذه النظريات مؤكدة بعضاً من افتراضات الواقعية أو أنها قامت على أنقاضها ففي الحالتين مثل المذهب الواقعي مصدر إلهام فكري ونظري لجل النظريات الدولية.

هذا ما جعل الواقعية لفترات طويلة أقرب لحالة الهيمنة النظرية في ميدان العلاقات الدولية باعتبارها قدمت المستويات التفسيرية الأمثل لحالتي الصراع والحرب، سواء نظراً إلى الحرب كوضع استثنائي في صورة المشهد الدولي، أو نظرنا لها من زاوية واقعية كنمط سائد وغالب في العلاقات التفاعلية داخل النظام الدولي².

1- المشاط عبد المنعم، نحو صياغة عربية لنظرية الأمن القومي، مجلة المستقبل العربي، العدد 54، ص9.

2- عبد الحي وليد، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، الجزائر، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الطبعة الأولى، 1994، ص29.

وقد مرت الدراسات الأمنية في السياسة الدولية بعدة تحولات أهمها تلك التي جاءت بعد الحرب الباردة وأثرت في جميع المستويات العالمية والإقليمية والوطنية مما دفع الكثير من المنظرين المهتمين بقضايا الأمن وعلى رأسهم "كينيث والتز" "K.Waltz" إلى القول بأن عصر ما بعد الحرب الباردة هو عصر النهضة للدراسات الأمنية، خاصة مع ظهور البعد القيمي الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الأمن فانهى المنظرون إلى وجود نوعين أولهما، الأمن الصلب الذي يعني التقليد الدفاعي للدول القومية ضد الأخطار الخارجية العسكرية بالدرجة الأولى، ثانيهما الأمن الناعم ما يعني أمن الأفراد وتحقيق مفهوم التحرر الذي طالما التصق بمفهوم الأمن لكن التحرر من ماذا؟ من شيئين إثنين الفقر والخوف، ليضيف البعض الآخرون وفق هذا المنطلق مفهوم الأمن الاجتماعي والأمن الإنساني الذي يخص الإنسانية ككل.

فحسب كل من "بوث" "Booth" "ويلر" "Wheeler" لا يمكن للأفراد والمجموعات تحقيق الأمن المستقر إلا إذا امتنعوا عن حرمان الآخرين منه، ويتحقق ذلك إذ تم النظر إلى الأمن على أنه عملية تحرر¹.

لكن كلمة "الآخرين" توحى في هذا التعريف إلى عدة أطراف منها الدولة، فقد تكون دولة ما خاصة ما يصطلح عليه بالدول الفاشلة "Failed States" السبب الرئيسي في عدم تحقيق أمن المواطنين، مما أدى إلى فصل العديد من الباحثين ما بين أمن السلطة وأمن الأفراد أين يحتل أمن السلطة مكانة رئيسية في الأجندة الأمنية للدول الديكتاتورية وأمن الأفراد أهمية في الدول الديمقراطية، وعليه يكمن رصد هذه الملاحظات الأساسية حول مفهوم الأمن:

¹ -مرجع سابق، ص 25.

الأمن ظاهرة ومفهوم متغير وفق البيئة الزمنية والمكانية، ووفقا للإعتبارات الداخلية والخارجية لدولة والظروف المحلية والإقليمية والعالمية. الأمن مفهوم نسبي فالفاعِل العالمية تسعى دائما إلى زيادة قوتها ما يزيد شعورها بعدم الأمن ويدفعها إلى زيادة قدراتها الدفاعية.

مفهوم الأمن مركب يجمع ما بين الأمن المادي والمعنوي الأمن الداخلي والخارجي، كما يهدف الأمن إلى تأمين مصالح الدول والظروف الإقتصادية والاجتماعية لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع¹.

ثالثا-تعريف الإستراتيجية:

1- لغة:

أصبح مصطلح الإستراتيجية "La stratégie" شائع التداول في الأدبيات النظرية والعلمية والأنشطة البشرية المختلفة، حيث لا يكاد يخلو القاموس الإصطلاحي لرجال السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها من العلوم والفنون من مصطلح الإستراتيجية للدلالة على التخطيط، التدبير، القيادة، والتفكير العميق والنظر الشاغل المستوعب لتغيرات الزمان والمكان².

يمكن القول بأن الجذور التاريخية للمصطلح الإستراتيجية ترجع إلى العهد الإغريقي، إن أنه مرادف للكلمة اليونانية "ستراتوس" "Stratos" التي تعني الجيش "Armée" أما بالنسبة للعهد المعاصر فقد أصبح للمصطلح ميادين واسعة، أين تلتقي العقلانية مع الواقعية في إدارة العمليات الحربية خارج حقل نظر وتخطيط العدو. غير أن المقاربة المفهومية الأشهر الإستراتيجية تراجع إلى أب الإستراتيجية الألماني "كارل فون كلاوز فيتش" "Karl

¹- مرجع سابق، ص25.

²-د/صلاح نبوف، مدخل إلى الفكر الإستراتيجي، دار النشر الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ص3.

Van Clansevitich" الذي كان يرى في الإستراتيجية منظورًا متعددًا من الإلتزامات إلا نهاية الحرب، وتستوجب إثبات مجموعة من الأهداف السياسية تكون متوافقة مع العمليات العسكرية، أو حسب العبارة الشهيرة لكلاوز فيتش، الإستراتيجية استمرار السياسة بوسائل أخرى " La stratégie et la continuation de la politique par d'autre " moyens".

هناك فرضية أخرى حول أصل الإشتقاق في جذوره الأولى، عندما نقول "Stratos" فهذا لا يعني الجيش أو الجيوش بشكل عام، بل يعني الجيش الذي يعسكر في منطقة ما ويكون في حالة حرب، الإستراتيجية في الواقع لا تحدد في حالة صراع واحدة، فكلمة "Stratos" تتعلق بكلمة أخرى وهي أكثر قوة في المعنى (Gia) وتعني الأرض، أما (Agein) فهي تعني الدفع إلى الأمام. هذه الفرضية الأخيرة هي الأكثر واقعية عند من مؤرخي العلوم الإستراتيجية، ربما لأن الإقتراح في تحليل يشير إلى أن الإستراتيجية ليست شيئًا "ساكنًا" بل هي مرتبطة "بالحركة".

لقد ظهرت في أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد وظيفة ما يمكن أن نسميه المخطط الإستراتيجي أو الحربي "Stratégie". حيث "القبائل" تختار عشر إستراتيجيين أو مخططين، يؤسسون مدرسة يستطيع أحد من داخلها أن يفرض نفسه على الآخرين المتبقين، لكن جميع الأعضاء في هذه المدرسة لديهم الإمكانية في قيادة الجيش أو جزءا منه، فلا إستراتيجي من بينهم يقود الجنود المسلحين في المناطق الريفية وآخر مكلف بالدفاع عن الإقليم و الدولة، وإثنان آخرون مهمتهما الدفاع عن الشواطئ أما الخامس يهتم بتسليح الأسطول والخمسة الآخرين يكون لديهم أعمال متعددة ومتغيرة¹.

¹ - د/صلاح نيوف، مدخل إلى الفكر الإستراتيجي، دار النشر الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ص ص 9-10.

منذ القرن الثامن عشر، عودة ونهوض مفهوم الإستراتيجية وكلّ تحولاته يمكن رصدها وملاحظتها من خلال مراحل عدة "الأميرال" "Mathey" يرى أن عودة المصطلح كانت من الإنكليز من خلال استخدام كلمة "Stratégie" في كتاب "Oceana" لمؤلفه "Hassinyton" عام 1956، وفي كتاب آخر "Geography" لمؤلفه "Moden" ولكن ضمن معنى إدارة مقاطعة أو إقليم¹.

لم تأخذ أي معنى عسكرياً حتى عام 1810، وذلك في الطبعة الثانية للقاموس "Military Dictionary" لصاحبه "James" في نفس السنة الوقت ظهر الظرف "Strategically" في الإنكليزية.

*المصطلح القريب للإستراتيجية:

أصبحت الصلة الوثيقة بين الإستراتيجية والحرب في موضع تساؤل في العقود الأخيرة مما أدى لظهور فئات وتقسيمات جديدة لمفهوم الإستراتيجية للوصول إلى أفضل مقارنة لتلك الفئات ثم اللجوء إلى علم التصنيف "Taxinomie"، بمعنى ترتيب كلّ المفاهيم المتقاربة من أجل وضع الإستراتيجية في البنية السياسية العسكرية².

*عند نابليون:

ومن التعريفات المتداولة بشأن الإستراتيجية، أن الإستراتيجية عند نابليون "Napoléon" تعني فن استخدام الوقت والمكان في الحروب العسكرية.

¹-Guanzi, « Les sept méthodes du gouvernement », cité dans Xu Zhen Zhou l'art de la politique chez Légistes Chinois », Paris, Economica 1995, p.229.

²- مرجع نفسه، ص 12.

*أما الجنرال الفرنسي "بوفر" "André Beaufre": في مقدمة كتابه "فن الإستراتيجية" الصادر في عام 1963 قدم مفهوما أكثر تطوراً للإستراتيجية يتعدى الأصول العسكرية والحربية للمصطلح، عندما قال: «ما هي الإستراتيجية؟ وإذا كانت الكلمة ذات أصول عسكرية قديمة، فإنها تعني فن توظيف القوات العسكرية لبلوغ النتائج النهائية للسياسة، وهو تعريف صدق لأنه لا يتعلق إلا بالجوانب العسكرية القوة، وبإمكاننا تقديم المفهوم بالشكل التالي: هي فن وفعل تضافر القوة لبلوغ أهداف سياسية، بمعنى آخر هي فن تجادل القوى، أو بصورة أدق فعل تجادل الإرادات "Dialectique de volanté" بتوظيف القوة لحل الصراعات».

*هناك تعريف آخر قدمه "لiddel Hart": وهو لا ينفك عن غيره من التعريفات الكلاسيكية التي تربط الإستراتيجية بالمجالات العسكرية. مفاده أن الإستراتيجية: «هي فن توزيع الموارد العسكرية وتطبيقها بشكل يحقق الأهداف المرجوة من السياسات الموضوعية». إلا أن "هارت" يرى في الإستراتيجية تطبيقاً لإستراتيجية كبرى على مستوى ثانوي. ويشير بذلك -بشكل أعم- إلى مختلف الآليات التي تحكم استخدام القوة العسكرية جنباً إلى جنب مع الوسائل الاقتصادية والسياسية والنفسية، ومهما يكن، فقد عكست رؤية "هارت" الإستراتيجية دينامية التغيير التي بدأت تطر أعلى الإستراتيجية كمفهوم إجرائي أوسع من مجرد كونه لصيق بجذوره العسكرية لاستخدام القوة.

هذا الأمر يقودنا إلى ما وراء التعريف الضيق للإستراتيجية الذي قال به "هارت"، أو حتى إلى ما وراء الإستراتيجية الكبرى تعريف يرى في إطار أشمل يكون فيه للإستراتيجية أهمية بالغة تفوق ما سبق، فبالرغم أنها تبقى -الإستراتيجية- هيكلية لسياسة لها جذورها العميقة في المنطق العسكري وتحدها قيود مختلفة مرتبطة بمكان وزمان تنفيذ الإستراتيجية إلا أن فروعها تمتد في التاريخ والثقافة والفلسفة والاقتصاد والدين...

*أهدافها: ومنه، فالإستراتيجية -ومن منظور تعددي- تعني خطة عمل طويلة المدى، تروم توظيف مختلف الوسائل المرتبطة بأبعاد القوة المختلفة لإدارة برنامج المصالح الوطنية لتحقيق أهداف السياسة الوطنية موجهة إلى ميدان من التفاعلات يجمع بين الخصوم والحلفاء والمناوئين في لعبة المصالح المتشابكة والمتضاربة في العلاقات الدولية أو هي فن تنسيق وتبعية أفعال جميع مناحي القوة الوطنية، السياسية، العسكرية، الاقتصادية المالية الأخلاقية... من أجل قيادة حرب تسيير أزمة إدارة نزاع أو الحفاظ على السلم¹.

*الفكر الإستراتيجي الأمريكي وأنماط السلوكيات الخارجية السياسية الأمريكية:

فالإستراتيجية الأمريكية بهذا المعنى تشير إلى الإستراتيجية الكبرى " The Great Strategy" بالتوصيف والتحديد الأنفي الذكر، أي خطة بجدول أعمال طويلة المدى ترمي إلى تحقيق أهداف وغايات السياسة الخارجية والمصلحة الوطنية بتعبئة جميع وسائل وإمكانات القوة الأمريكية بأبعادها العسكرية الإقتصادية، الدبلوماسية، والثقافية وبشكل يمكنها من إدارة ديناميات التنافس والتعاون والصراع الدولي، ويمنحها كذلك القدرة على صياغة أنماط السلوكيات الخارجية المعاكسة حتى لا تشكل تهديدًا إستراتيجيًا للولايات المتحدة. هذه العملية هي ما تطلق عليها السياسة الأمريكية الجديدة مصطلح الضبط الإستراتيجي " The strategic Control" لإدارة لعبة المصالح التي أضحت رهينة قانون اللعبة غير صفرية " Non Zero Sun Game" في العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة. فمن وجهة نظر أمريكية أكاديمية، قدم "برادلي أ.تاير" "Braddeli A.Teyer" تعريف الإستراتيجية الكبرى في زمن العولمة، مفادها أن: «الإستراتيجية هي: كيف تعرّف الدولة مصالحها.

¹- نفس المرجع، ص13.

والتهديدات التي تستهدف هذه المصالح، ووسائل التعامل معها»، هذا التعريف للاستراتيجية الكبرى يستخدم عموماً لدى الدارسين المختصين بالسياسة الدولية¹.

- البند الأول: ينطوي على تعريف دقيق ومحدد لمجموعة المصالح في النسق الدولي.
- البند الثاني: يضم مجموعة التهديدات الكامنة والمحتملة والقائمة التي يمكن أن تؤثر على المصالح الوطنية.
- البند الثالث: يشير إلى الوسائل الواجب استعمالها لتحقيق المصالح والغايات الوطنية من جهة، ومجابهة التهديدات التي تستهدف هذه المصالح من جهة أخرى، والوسائل التي تسعى الإستراتيجية الكبرى لتعبئتها لا تتصرف فقط إلى ثابت القوة العسكرية كتقليد في الشؤون الإستراتيجية بل تعمل على التوظيف المتكامل والمنهجي لعناصر القوتين الصلبة والمرنة "Hard and Soft Power" في السياسة الدولية. وبالنسبة لحالة الولايات المتحدة، فإن الإستراتيجية الكبرى هي أن تكون في المقام الأول بمعنى الدولة المسيطرة والمهيمنة. وهي الحالة التي تعني نوعاً من السياسات الدولية التي تهيمن فيها دولة على دولة أخرى نتيجة لقوتها وتفوقها العسكري أو بسبب وجود فجوات بينهما من حيث القوة الشاملة.

وما تجدر إليه الذكر أيضاً كعنصر أساسي في هذه المقاربة المفهومية للإستراتيجية هو أنه ثمة مشكلة تطرح نفسها ذات صلة بمدى تطبيق الأفكار النظرية المجردة التابعة من آراء المفكرين والأكاديميين في الميدان العلمي للسياسة، وهي جزء من مشكلة عامة في صلب الدراسات والإستراتيجيات عن سبب الانفصام بين النظرية والتطبيق².

¹- نفس المرجع، ص 44.

²- نفس المرجع، ص 45.

فالإستراتيجية كفكر تقوم بدور الجسر الرابط الذي يربط السياسة بالقوة العسكرية في حين ينبغي للإستراتيجية الكبرى أن تأخذ في الإعتبار كلّ الوسائل التي يمكن استخدامها في السياسة، وبالرغم من أن السياسة متميزة عن الإستراتيجية، فلا بد أن تكون هناك عملية تكرارية بين الإثنين بشكل يقلب مبدأ "كلاوزفيلش" لتصبح السياسة استمراراً للإستراتيجية بوسائل أخرى تدور بين القوتين الصلبة أو المرنة أو بين الحرب والدبلوماسية وجوداً وعدماً كما يقول اللغويون: «هذا الإنقلاب على مبدأ "كلاوزفيلش" لم يأت من محاكاة لفظية ونظرية، بل فرضيته متغيرات ومعطيات القوة بين الدول، فالأسلحة النووية ونظرية الردع "Deterrence theory" على سبيل المثال أحدثت تغييراً جوهرياً في المعطى التقليدي للإستراتيجية بوصفها امتداداً لسياسة بوسائل أخرى لتصبح السياسة جنباً إلى جنب مع الإستراتيجية لتحقيق المصالح الوطنية»، وهو ما تجسده المقولة التي مفادها أن: «الوسائل ينبغي أن تخدم الغايات الإستراتيجية التي تفيد في تحقيق الأهداف السياسية الوطنية والتي تعد هي الحقيقة الكبرى...»¹.

¹- نفس المرجع، ص46.

المبحث الثاني:

الأهمية الجيوستراتيجية والإقتصادية للشرق الأوسط

يقول "George Lenezowski" في مؤلفه " The Middle East in World Affairs" لا يمكن لأية سياسة خارجية رشيدة أن تتجاهل الشرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم.

وقد كان الشرق الأوسط عبر العصور ولا يزال محط أنظار العديد من الفاتحين وبناء الإمبراطوريات والقوى العظمى إلى جانب الكثير من العلماء والدارسين المهتمين بالشؤون الدولية وستحاول فيما يلي أن نلقي بعض الضوء على منطقة الشرق الأوسط من أهمية في الشؤون الدولية.

المطلب الأول:

الأهمية الجيوسياسية

ونقصد بها أهمية الموقع الجغرافي لتلك المنطقة بالنسبة للمناطق الأخرى من العالم، وللدلالة على الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الأوسط يمكننا أن نتناول المنطقة بالدراسة من ثانيا أبرز النظريات التي قدمها علماء الجيوبولتيك.

فقد قدم "السير هالفورد ماكيندر" "Sir Halford Makinder" نظرية تعد من أهم النظريات الجيوبوليتيكية وذلك في كتابه "Democratic Ideals and redity" المنشور سنة 1919 ويرى ماكيندر من خلال نظريته التي سماها " The geographical Pivot of History" أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تغطيها مياه البحار، وأن اليابسة لا تشغل

سوى ربع مساحتها فقط، كما لاحظ أن في وحدة البحار واتصالها ببعضها البعض ما يبرز أن نطلق عليها جميعاً إسماً واحداً هو المحيط العالمي "World Ocean"¹.

بدلاً من تعدد أسمائها كما لاحظ أن قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا وهي التي تكون الجزيرة العالمية "World Island" تشغل الشيء اليابس كله.

ثم أشار ماكيندر بعد ذلك إلى نقطة الارتكاز للجزيرة العالمية والتي يطلق عليها اسم "قلب الأرض" "Heart land" ويقصد به تلك المنطقة التي تمتد من حوض نهر الفولجا في الاتحاد السوفياتي حتى شرق سيبيريا وذلك إلى جانب القسم الأكبر من هضبة إيران -التي تضم إيران وأفغانستان- بالإضافة إلى جزء من مرتفعات منغوليا.

كذلك فقد تصور ماكيندر أن للأرض منطقة إرتكاز أخرى أسماها القلب الجنوبي "Sathern Heart land" ويقصد بها إفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى، ويتصل القلبان الشمالي والجنوبي ببعضها البعض عن طريق جسر بلاد العرب، وبلاد العرب في رأي ماكيندر -هي تلك التي تمتد من النيل غرباً إلى ما وراء لقرات شرقاً-، وهي مسافة تبلغ ثمانية مئة ميل، ومن سفوح جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن أي ما يبلغ الألف وثمانمائة ميل، وهناك عدة طرق مائية تربط أطراف تلك المنطقة ببعضها البعض بالإضافة إلى أن منطقة الشرق الأوسط -كما تسمى الآن- هي المنطقة التي تربط بين قلب الأرض الشمالي والجنوبي وفقاً لنظرية ماكيندر.

وهكذا فإذا أردنا أن نفسر أهمية منطقة الشرق الأوسط على مدى نظريات الجيوبوليتيك لوجدنا أن الشرق الأوسط يقع في أقرب مكان إلى قلب الأرض وأنه يشكل جزءاً

¹- د. ممدوح محمود مصطفى منصور، الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 49.

من المحيط الأرضي الذي يحيط بقلب الأرض بل أن إيران نفسها هي جزء من قلب الأرض¹.

كذلك فلو استعرضنا الخصائص الطبيعية لمنطقة الشرق الأوسط لأمكننا أن نلمس أهميتها الحيوية، ويمكننا أن نشير إلى بعض من هذه الخصائص فيما يلي:

- تقع منطقة الشرق الأوسط عند ملتقى القارات الكبرى للعالم القديم.
- يشرف الشرق الأوسط على أكبر مجموعة مائية من البحار والمحيطات هي: بحر قزوين - البحر الأسود - البحر الأبيض المتوسط - البحر الأحمر - بحر العرب - الخليج العربي - المحيط الهندي.
- يحتوي الشرق الأوسط على العديد من الأنهار الهامة مثل: نهر النيل، نهر الفرات، نهر دجلة ونهر الأردن ومن لم تتوفر به المياه اللازمة للزراعة والري.
- يتحكم الشرق الأوسط في مجموعة من أهم مواقع المرور الدولية وهي: قناة السويس ومضائق البوسفور والدردنيل وباب المندب وهرمز.
- يمتد الشرق الأوسط على مساحة تتسم بالاتساع والعمق ومن ثم فهو يتيح توزيع مناطق الإنتاج في وقت السلم كما يتيح نشر القواعد العسكرية في أوقات الحروب (تبلغ مساحة دول الشرق الأوسط حوالي سبعة ملايين كيلومتر مربع).
- يتسم مناخ منطقة الشرق الأوسط بالاعتدال على مدار العام حيث يقع في مكان وسط بين المنطقة المدارية جنوباً والمنطقة المعتدلة والباردة شمالاً. مما يعني صلاحية أراضي تلك المنطقة للزراعة على مدار العام.

¹ - نفس المرجع، ص 51.

تمتاز منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة بوفرة الموارد الطبيعية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة وهو ما يعني وفرة عوامل الإنتاج الأساسية ومما تقدم يمكننا القول

- أن منطقة الشرق الأوسط تعد بحق من أهم مناطق العالم من المنظور الجيوبوليتيكي¹.

نود أن نشير إلى البداية حديثنا عن الأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط إلى أنه على الرغم من المدلول الموسع المصطلح "الإستراتيجية" والذي أصبح يعني الآن: «استخدام مجمل قوة الدولة أو مجموع إمكانياتها وقدراتها الاقتصادية والسياسية ولإيديولوجية والعسكرية وغيرها. لتحقيق مجمل أهدافها السياسية أو ما يسمى "Grad stsategy"».

ويمكننا أن نوجز أهم العناصر التي تشكل الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط فيما يلي:

- الاتساع المكاني لمنطقة الشرق الأوسط الذي يمكن من نشر القواعد العسكرية لتأمينها ضد أخطار العدوان، وتنوع طبيعة التربة مما يوفر الظروف المختلفة لتدريب القوات على القتال في الأنواع المختلفة من ميادين القتال.
- القوة البشرية الهائلة التي يمكن تجنيدها واستخدامها في العمليات العسكرية.
- صلاحية أجواء ومياه المنطقة للطيران والملاحة طوال العام.
- توفر عوامل الإنتاج اللازمة لقيام صناعات حربية كصناعة الأسلحة والذخائر ولاسيما إذا أمكن تحقيق نوع من التعاون مع الدول ذات الخبرة في تكنولوجيا التسليح المتطور بما يمكن من تطوير صناعات الإنتاج الحربي الناشئة في بعض دول الشرق الأوسط مثل: مصر، تركيا، إسرائيل.

¹ نفس المرجع، ص 52.

- الاكتفاء الذاتي في مصادر الطاقة والوقود اللازمة للعمليات الحربية.
- توفر شبكة هائلة من خطوط المواصلات البرية والبحرية والجوية مما يسهل من إمكانية نقل وتحريك القوات والمعدات¹.

المطلب الثاني:

الأهمية الاقتصادية

هناك ارتباط بين الأهمية الإستراتيجية والإقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط، بالموقع الجغرافي المتميز لها، والمتحكم في العديد من البحار، والمضائق، بالإضافة إلى مضيق هرمز إن يكتسب أهمية بالغة لأن 80% من نفط الخليج يمر عبره إلى العالم، وما بين 20 إلى 30 ناقلة فقط تعبره يوميا بمعدل ناقلة كل 6 دقائق في ساعات الذروة، تحمل على متنها 17 مليون برميل نفط². وهذا ما جعله من أهم المضائق ومختلف الطرف والمواصلات البحرية.

كما أن منطقة الشرق الأوسط منطقة غنية بالموارد الطبيعية، خاصة موارد الطاقة كالبترول والغاز، حيث تتوفر على 70% من الإحتياطي العالمي.

كما تبرز الأهمية الاقتصادية للشرق الأوسط في البترول والغاز من خلال³.

- حوالي 63% من احتياطات البترول و24% من احتياطات الغاز الطبيعي في العالم تقع في تلك المنطقة.

¹- نفس المرجع، ص 53.

²-حيدر رضوي، "القدرات العسكرية الإيرانية في الخليج"، جريدة التغيير منحصل عليه من الموقع:

³- وليد محمود عبد الناصر، التنافس العالمي على نفوذ والثروة في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، ملف العدد

- أعلى معدلات الإنتاج للبتروك تأتي من دول تلك المنطقة.
 - حقول هذه المنطقة متوسطة العمق وتنتج بمعدلات هي الأعلى في العالم بالنسبة لمتوسط إنتاجية البئر الواحد.
 - كل أنواع البترول والغاز الطبيعي وخاصة ذات الجودة العالية تنتج من حقول هذه المنطقة.
 - تكلفة إنتاج البترول والغاز الطبيعي في هذه المنطقة هي الأقل على مستوى العالم.
 - للمنطقة موقعها استراتيجيا قريبا من مناطق الإستهلاك مما يقلل من تكلفة النقل.
 - حقول البترول والغاز الطبيعي في تلك المنطقة تقع في منطقة مستمرة جيولوجيا وبعيدة عن الأعاصير.
 - إن حجم احتياطات البترول والغاز الطبيعي الضخم في هذه المنطقة واستقرارها السياسي والطبيعي قد أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة في العالم وبالتالي تتسابق القوى الإقليمية والدولية للحصول على استثمارات كبرى في مجال الطاقة من خلال عقد اتفاقية اقتصادية تضمن المصالح الاقتصادية لهذه الدول في المنطقة.
- تتداخل الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط بأهميتها الأمنية، بحيث تتعكس الأخيرة على الأولى بشكل واضح فأمن الممرات البحرية للتجارة الدولية بات الأهم في السياسة الدولية للدول الكبرى، كقناة السويس في مصر، بالإضافة إلى البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب.

وهو ما ظهر بوضوح في تركيز الاهتمام الدولي على مسألة مكافحة القرصنة قبالة السواحل الصومالية، نظراً لما مثله ذلك من مخاطر جمة وجدية على طرق التجارة الدولية وتأمينها. فقد شكل التضاعف غير المسبوق في تكلفة التأمين على التجارة الدولية سبب هذا الوضع تهديداً حقيقياً على حركية التجارة الدولية. ومن هنا، جاء الحرص على العمل

للحيلولة دون تمكن تنظيم القاعدة. أو التنظيمات المحلية¹ المتحالفة معه في اليمن، من فرض السيطرة على المناطق الساحلية، خاصة في جنوب اليمن، نظرًا لأهميتها وخطورتها على سلامة الملاحة البحرية ومن خلال هذه الأهمية تضافرت الجهود الأمنية لحماية ممرات التجارة الدولية في منطقة الشرق الأوسط لما لها من انعكاسات واضح على المصالح القومية للدول الإقليمية والكبرى².

¹-وليد محمود عبد الناصر، التنافس العالمي على نفوذ والثروة في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، ملف العدد 189، ص20.

²- ويد محمود عبد الناصر، مرجع سبق ذكره، ص21.

خلاصة الفصل:

نستنتج من هذا الفصل أن هناك تعريفات عديدة لمصطلح الشرق الأوسط، هذا المصطلح الذي اختلفت وجهات نظر المفكرين حوله، وكذلك مصطلح الأمن الذي قدم له مجموعة من التعريفات لمختلف المفكرين فهناك من يراه يتحقق عن طريق القوة وهناك من يراه غير ذلك وكذلك مصطلح الإستراتيجية، ففي هذا الفصل تطرقنا إلى الإطار المفاهيمي وتحديد مصطلحات تصب ضمن موضوع استراتيجية حلف الناتو الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، فقد تطرق هذا الفصل أيضا على الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط.

الفصل الثاني:

إستراتيجية حلف الناتو

في منطقة الشرق الأوسط

يعتبر حلف الناتو كقوة دفاعية أمريكية الذي تمثلت وظيفته الأساسية وظيفه دفاعية مشتركة، حيث اتخذ شكل المؤسسة بهياكله المعقدة منذ نشأته، لكن بعد نهاية الحرب الباردة توسع وأخذ يتكيف مع مستجدات الساحة الدولية رغم إختفاء أسباب ومبررات وجوده، حيث استمر بالإننتشار حتى شمل دول حوض الأبيض المتوسط والشرق الأوسط هذه المنطقة التي تعتبر موقع جيو إستراتيجي هام في العقيدة العسكرية للحلف وقد تم التطرق في هذا الفصل إلى الإطار النظري والمفاهيمي لحلف الناتو واستراتيجيته الجديدة على منطقة الشرق الأوسط وتم التفصيل أكثر في المبحث الأول الذي تناول تطور الحلف بعد نهاية الحرب الباردة ،و في المبحث الثاني تم التطرف إلى الاستراتيجية الاطلسية في منطقة الشرق الاوسط بعد احداث 11سبتمبر 2001 .

المبحث الأول:

التعريف بمنظمة حلف الشمال الأطلسي

نستعرض في هذا المبحث الأحلاف العسكرية الجماعية (Collective) التي تضم الدول المنتمية للمعسكر الغربي، أي المعسكر الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية. الأحلاف هي وسيلة لتحقيق التعادل في نظام توازن القوى، أو هي وسيلة في التعادل بين القوى المتجابهة، ويرى البعض عن الأحلاف وسيلة جوهرية في وضع النظام الدولي في حالة الإستقرار أو اللإستقرار.

وعلى هذا تنقسم دراستنا إلى قسمين أو مطلبين. المطلب الأول يعالج دراسة حلف الشمال الأطلسي خلال الثنائية القطبية، والمطلب الثاني حول حلف الشمال الأطلسي خلال الأحادية القطبية.

المطلب الأول:

تطور الحلف بعد نهاية الحرب الباردة

1- الخلفية التاريخية للحلف:

يرى بعض الكتاب إن التكتل الأطلسي كان موجوداً فعلاً قبل عقد الحلف رسمياً، فوجوده في رأيهم يرجع إلى التحالف الذي ربط كلا من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب العالمية الأولى، وتمتد من جذوره إلى التراث المشترك بين أوروبا وأمريكا ومهما يكن الأمر فإنه حين اشتدت الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي

وازداد النفوذ السوفياتي في أوروبا، رأت كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ في أوروبا أن مصالحها تقتضي أن تتحالف عسكرياً، وقد تم ذلك في ميثاق بروكسل¹، المبرم في 17 أبريل 1948، ولكن سرعان ما تبين أن تلك الدول غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه ما اعتبر توسعاً سوفياتياً في الغرب دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تبنى السناتور الأمريكي "فاند برج" "Vandenberg" فكرة انضمام بلاده إلى هذا التحالف على أساس المساعدة المتبادلة بينها وبين الدول سالفة الذكر.

وقد تم بتوصية رسمية في هذا الاتجاه إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في شهر جوان 1948 وأعقب ذلك بدء مرحلة من التشاور والمفاوضات بين الحكومة الأمريكية وحكومات الدول الأخرى في منطقة شمال الأطلسي، وانتهت هذه المفاوضات بإبرام معاهدة حلف شمال الأطلسي التي تم توقيعها في واشنطن في اليوم الرابع من أبريل 1949، ووافق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية 82 صوتاً ضد 13 صوتاً². وتبع ذلك إجراء التصديق عليها من قبل الرئيس الأمريكي في جويلية 1949، ومن قبل الدول المؤسسة الإحدى عشر وبهذا أصبحت المعاهدة سارية المفعول اعتباراً من 24 أوت 1949.

2-الدول الأعضاء في حلف الأطلسي:

تعتبر المادة العاشرة من المعاهدة الإطار القانوني لعضوية الحلف، حيث تنص على أنه: «تستطيع الأطراف بإجماع الآراء، أن تدعو أية دولة أوروبية أخرى تكون في وضع يتيح لها تدعيم مبادئ المعاهدة والمساهمة في تحقيق الأمن لمنطقة شمالي الأطلسي، الانضمام إلى هذه المعاهدة وأية دولة يتم دعوتها على هذا النحو قد تصبح طرفاً

1-الأكسيف، كروتسيلنج، شيفتلوف، الروح العسكرية الأمريكية، ترجمة محمود شفيق شعبان، دمشق، دار دمشق للنشر، الطبعة الأولى، 1980، ص75.

2-محمد عزيز شكري، الأحلاف والتكفلات في السياسة الدولية، الكويت، المجلس الوطني للفنون والأدب، 1978، ص44.

في المعاهدة وذلك بإيداع مستندات انضمامها لدى حكومة الولايات المتحدة، وسوف تبلغ الولايات المتحدة كل الأطراف بتلك المستندات»¹.

بلجيكا، كندا، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، لوكسمبورغ، هولندا، النرويج، البرتغال، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة (وهي الدول المؤسسة) وقد إنضمت كل من اليونان وتركيا للحلف اعتبارًا من عام 1952 وفي عام 1955 وبعد أخذ ورد طويلين أصبحت جمهورية ألمانيا الاتحادية عضو عاملا في الحلف لمقتضى اتفاقات باريس في أكتوبر 1954 واضح من بيان الدول المشتركة في هذا الحلف أن العامل الإستراتيجي العسكري هو العيار الحاسم في عوضيته وليس العامل الإقليمي كما قد يوحي بذلك اسمه، فالحلف كما نلاحظ يضم دولاً تتراسى في قارتين من تركيا واليونان في الشرق وهما دولتان غير أطلستيتين الأمريكي أمريكا وكندا في الغرب مرورًا بمعظم أوروبا الغربية سواء أطلت على أساس أم لا، لكن هذا الحلف لا يضم دول أمريكا اللاتينية أو إفريقيا الأطلسية والسبب في ذلك بين جلي فالقصد من الحلف كان ببساطة إقامة حزام أمان واحد قبالة الاتحاد السوفياتي.

3-أهداف الحلف:

تقع معاهدة حلف أساس في مقدمة وأربع عشرة مادة وتتص المقدمة على أن الدول الأطراف تجدد عهدها وثقتها بالمبادئ والأهداف التي اشتمل عليها ميثاق الأمم المتحدة وتؤكد رغبتها في أن تحيا في سلام الأمريكي جانب الدول والحكومات كافة، وتعلن تصميمها على أن تحافظ على حريتها وحضارتها و تراثها المشترك وقيمها القائمة على مبادئ الديمقراطية والحرية والفردية وحكم القانون، كما تؤكد أنها ستتنسق جهودها بشكل جماعي للدفاع عن أمن وسلام منطقة شمال الأطلسي...

1- عماد جاد، حلف الأطلسي مهام جديدة في بيئة زمنية مغايرة، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، 1998، ص ص 273-274.

يتمثل الهدف الرئيسي لحلف شمال الأطلسي في احتواء المد الشيوعي في أوروبا من خلال حصره في أوروبا الشرقية، وإثناء الاتحاد السوفياتي عن القيام بأي هجوم على دول أوروبا الغربية¹.

وقد تعهدت الأطراف المتعاقدة، بنص المادة الأولى من معاهدة الحلف بالإمتناع عن استخدام القوة والتهديد باستخدامها بما يتعارض مع المبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة، كما تعهدت بأن تحمل على تسوية منازعتها الدولية بالرق السليمة وعلى النحو الذي يدعم قيم السلام والأمن الدوليين. واشتملت المادة الثالثة من المعاهدة على إعلان الدول المتعاقدة عن رغبتها في أن تدمج وتتسق جهودها بالشكل الفعال الذي يمكن الدول هذه من تحقيق الأهداف التي قام من أجلها هذا التحالف.

ونصت المادة الرابعة مبدأ التشاور الجماعي في الحالات التي يعتقد معها بوجود تهديد للكيان الإقليمي أو الإستقلال السياسي أو الأمن أي دولة منها أما المادة الخامسة والتي تعتبر من أهم هذه المواد كلها فقد ذكرت أن أي عدوان مسلح يقع على دولة من دول حلف الأطلسي يعتبر عدوان ضد كل الدول المتحالفة، ويتعين في هذه الحالة اتخاذ ما تراه ضروريا من الإجراءات القادرة على مقاومة العدوان بما في ذلك بالطبع استخدام القوة، وتقوم دول الحلف بالإبلاغ عن العدوان والترتيبات التي اتخذت في مواجهته إلى مجلس أمن الأمم المتحدة ليقوم بواجباته المنصوص عليها في الفصل السابع من الميثاق².

وأكدت المادة السابعة من معاهدة الحلف عدم تعارض نصوص المعاهدة مع الحقوق والإلتزامات التي تضطلع بها الدول الأطراف في المعاهدة في ظل ميثاق الأمم المتحدة، كما

- ليلي مرسي وأحمد وهبان، حلف شمال الأطلسي والعلاقات الأمريكية الأوروبية بين التحالف والمصلحة، 1945-

¹ 2000، دار الجامعة الجديدة، 2001، ص53.

² نفس المرجع، ص45.

أكدت استمرار اعتراف هذه الدولة بسلطة مجلس الأمن باعتباره الجهاز الأول المسؤول عن حماية أوضاع السلام والأمن في العالم.

ونصت المادة الثالثة عشرة على أنه بعد انقضاء عشرين عاما على سريا المعاهدة يحق لأي طرف من الأطراف أن ينسحب من المعاهدة ويكون ذلك بعد سنة من تقديم أخطار بهذا المعنى إلى حكومة الولايات المتحدة التي تقوم من جانبها بأخطار الدول المتحالفة الأخرى بهذه الرغبة.

4-أجهزة حلف شمال الأطلسي:

تتكون أجهزة حلف شمال الأطلسي من دعامتين أو مؤسستين، هما المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية.

1.المؤسسة السياسية: تتكون المؤسسة السياسية من الأجهزة التالية:

أ-مجلس الحلف:

وهو يضم ممثلين دائمين من وزراء خارجية الدول الأعضاء وهو يمثل أعطى سلطة سياسية في الحلف، ويقوم بمناقشة القرارات السياسية والعسكرية للحلف والتمهيد لمؤتمرات قمته، ويجمع هذا المجلس مرة واحدة في السنة، وقد يجتمع عدة مرات في حالة الطوارئ والأزمات.

ب-لجنة تخطيط الدفاع:

وتتضمن في عضويتها الأعضاء الدائمين كافة وتقوم بتقييم القدرات الدفاعية لحلف شمال الأطلسي، وذلك من أجل إجراء التعديلات في الإستراتيجية العسكرية.

ج-الأمين العام للحلف:

ويعد هذا المنصب هو الأرفع، لأن الأمين العام يرأس العام يرأس كل من مجلس الحلف ولجنة تخطيط الدفاع والأمانة العامة ويقوم بعدة أعمال¹:

- التحضير لمؤتمرات القمة، وإجراء المفاوضات السياسية بين الحلف والجهات الأخرى، وتوجد في مكتبه شعب عدة تساعده على انجاز أعماله وهي:
- **الشعبة السياسية:** وتقوم بإعداد التقارير حول الموضوعات السياسية، وإجراء الاتصالات مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية.
- **شعبة تخطيط الدفاع:** ومن واجباتها تقديم المشورة في مجالات الدفاع للأمين العام وإقامة الاتصالات مع المنظمات العالمية والهيئات العسكرية خارج حلف شمال الأطلسي.
- **الشعبة العلمية:** وتقدم المنشورة في المجالات العلمية المتعلقة بتطوير الأسلحة ووسائل الاتصالات والمعلومات.

2. المؤسسة العسكرية لحلف شمال الأطلسي:

وهي تتألف من جهازين رئيسيين هما:

¹ نفس المرجع، ص 46.

أ- اللجنة العسكرية العليا لحلف شمال الأطلسي:

وتقع في واشنطن وتعد أعلى سلطة عسكرية في الحلف فهي تضم رؤساء أركان الجيوش الدول الأعضاء ومن مهامها: إصدار التعليمات الخاصة بتنفيذ أي تغييرات أو تعديلات تحدث في استراتيجية الحلف العسكرية.

ب- القيادات العسكرية الرئيسية:

وتوجد ثلاث قيادات رئيسية موزعة على مسرح عمليات الحلف ولكل قيادة رئيسية قيادات فرعية، وعلى النحو التالي:

1- القيادات الرئيسية لمنطقة الأطلسي:

ويوجد مقرها في (نوفر فلك) في أمريكا ويتبعها ثلاث قيادات فرعية هي: "قيادة منطقة غرب الأطلسي وقيادة منطقة شرق الأطلسي، والقيادة البرية في وسط الأطلسي"¹.

2- القيادة الرئيسية لمنطقة القتال:

وتوجد في نورث وود في بريطانيا ولا توجد لديها قيادات فرعية وهي تتألف من قوات بريطانية وهولندية وبلجيكية وأسطول دائم.

3- القيادة الرئيسية في أوروبا:

وتقع في مدينة كاستور في بلجيكا، ولها ثلاث قيادات فرعية: قيادة تحالف شمال غرب أوروبا، وتقع في مدينة هي واكومب البريطانية وتتولى قيادتها بريطانيا، وقيادة التحالف

¹ نفس المرجع، ص 47.

في وسط أوروبا، وتتولى قيادتها ألمانيا ومقرها مدينة برنسونم الهولندية. وقيادة التحالف لجنوب أوروبا ومقرها مدينة نابولي الإيطالية وتتولى قيادتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد قام حلف شمال الأطلسي بإجراء عدد من التعديلات على هيكل مؤسسته العسكرية في أثر انتهاء الحرب الباردة، مثل إلغاء القيادة الرئيسية في منطقة القتال الإنجليزي، ودمجها بالقيادة الفرعية لتحالف شمال غربي أوروبا التابعة القيادة الرئيسية في أوروبا، وقد جاء هذا في ضوء قيام الحلف بتخفيض عدد قواته التقليدية في أوروبا عملاً بمعاهدة خفض هذه القوات والتي عقدت مع حلف وارسو السابق في عام 1990.

كما قام حلف شمال الأطلسي بإنشاء القوات المتعددة الجنسيات والمهمات ووضعها تحت قيادة اتحاد غرب أوروبا في أثناء قمة مجلس تعاون شمال الأطلسي في برلين عام 1996 إقراراً منه بوجود هيئة دفاعية أوروبية، ومن أجل السماح لدول وسط وشرق أوروبا بالمشاركة في هذه القوات في حالة انضمامها إليه¹.

المطلب الثاني:

توسع الحلف بعد نهاية الحرب الباردة

مع سقوط جدار برلين في عام 1989، وإعلان الوحدة الألمانية على أساس قومي في العام 1990، ثم انهيار الاتحاد السوفياتي رسمياً في نهاية عام 1991 كان واضحاً ذلك الانعطاف التاريخي في مسار العلاقات الدولية واتجاه النظام الدولي إلى سقوط القطبية الثنائية، واستبدالها بهيمنة القطب الواحد المتمثل بالولايات المتحدة. بيد أن القوة العظمى المهيمنة لم تستطع حسم هذا الاتجاه، وتكريس نظام القطب الواحد لاحقاً، ذلك على الرغم

¹ - نفس المرجع، ص 48.

من إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش في نهاية حرب الخليج الثانية في عام 1991، أن قيام نظام عالمي جديد صار حقيقة، والانتصار الأمريكي على الشيوعية قد تحقق.

السؤال الذي رافق هذا الانعطاف هو: لماذا يستمر حلف شمال الأطلسي طالما أن حلف وارسو الذي قادته موسكو، سقط مع سقوط الاتحاد السوفياتي؟. واستطرادًا، ما هو الدور الوظيفي الجدي للحلف في المرحلة العالمية الجديدة؟

برز اتجاهين في معرض الإجابة على هذه الأسئلة المطروحة بإلحاح واحد يبرز بقاء الحلف، وآخر لا يجد مبررًا لبقائه على قيد الحياة.

الولايات المتحدة قادت الاتجاه الأول، ومعها بريطانيا وهولندا، على قاعدة تعزيز الدور الأمني الأوروبي في قيادة الحلف انطلاقًا من الترابط بين الأمن الأوروبي والأمريكي -أو من أمن الغرب- على أساس حضارية واقتصادية وسياسية وتاليا أمنية.

وعليه، فإن الحلف ليس مجرد أداة عسكرية وأمنية، وإنما هو إلى ذلك معني بالشؤون السياسية والاقتصادية، أي أنه معني بالأمن الأوروبي على نطاق واسع وفق المفهوم الشامل للأمن¹.

في المقابل، برز اتحاد معاكس بقيادة فرنسا وألمانيا الموحدة، لا يجب ضرورة الاستمرار الحلف طالما أن الحظر الشيوعي قد زال، وعن الأمن الأوروبي بعيدا من التهديد الخارجي. صحيح أن هناك اضطرابات داخلية مع انهيار الاتحاد ليوغسلافي، ونشوء نزاعات عرقية وإقليمية، يبدو أن هذا الواقع هو مرحلي ولا يقود إلى التمسك بالحلف العسكري والأمني الكبير الذي يرتب أعباء مالية وإدارية وسياسية وعسكرية على الدول الأعضاء.

-عدنان السيد حسين، التوسع الأطلسي، (بيروت، معهد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص24.

ولاحظ هذا الاتجاه كيف يتعاظم التنافس التجاري الأوروبي-الأمريكي، والروسي-الأمريكي والياباني-الأمريكي، وعليه فإن تعزيز مؤسسات الاتحاد الأوروبي هو الرد الحقيقي على التحديات الآتية وسرعان ما انطلقت معاهدة ماسترخت في العام 1992 لتكرس صيغة الاتحاد الأوروبي، وتعطيه آفاقا سياسية ومالية وأمنية مشتركة الواقع أن الاتحاد الأمريكي المتمسك بالصيغة الأطلسية هو الذي يسيطر على مجريات السياسة الأوروبية بل والروسية في مجال التسعينات، وتحديداً خلال عهد الرئيس الأسبق "بوريس يلتسن" وذلك لأسباب عدة أهمها:

1. انتشار النزاعات المسلحة داخل الدول، وتهديد الأمن الوطني والإقليمي شهد العالم في عام 1992 على سبيل المثال 32 نزاعاً مسلحاً، أخطرها نزاع البوسنة والهرسك وما أثر سلباً في الأمن الأوروبي، ونزاعات الهند وباكستان، ولاوس، وطاجيكستان، أذربيجان... وقد برزت مشكلة اللاجئين في أوروبا من جراء تفكك يوغسلافيا السابقة، مع وجود أكثر من 7.2 مليون لاجئ حتى نهاية العالم 1992، ناهيك عن انفجار مشكلات الأقليات الأتنية في البلقان، والجمهوريات المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفياتي السابق، مما لا يؤدي ذلك إلى تبديل الحدود السياسة للدولة¹.

2. فشل الأمم المتحدة: ولو بتأثير أمريكي سلبي في حفظ السلم والأمن الدوليين مع محدودية حجم ودر قوات حفظ السلام الدولية في معالجة النزاعات والأزمات. برز هذا الفشل في يوغوسلافيا وآسيا الوسطى والقرن الإفريقي وأصبحت نظرية الأمن الجماعي بنكسات متوالية، وعليه فإن بقاء حلف شمال الأطلسي كأداة أمنية لحفظ السلام. أو صنع السلام في مناطق التوتر ضرورة أوروبية، وربما عالمية في نظر المدافعين عن مبررات بقائه.

¹ نفس المرجع، ص ص 25-26.

كان الاتحاد الروسي في وضع صعب بعد سقوط الصيغة الاتحادية السوفياتية: إيجاد حلٍّ لمعضلة انتشار الأسلحة النووية في كازاخستان وأوكرانيا، وروسيا البيضاء، والتي تحتاج إلى ضوابط روسية ودولية وإعادة ترتيب العلاقات مع الجمهوريات المستقلة حديثاً حيث ينشر فيها نحو ثلاثون مليون روسي بحكم الروابط السابقة،

1. وتتصاعد الدعوات القومية إلى الإستقلال وإعادة النظر بالحدود السياسية التي رسمت في أعقاب الحربين العالميتين، وتتهدد الوحدات الوطنية بالتصدّع...

2. سعت الدبلوماسية الأمريكية إلى تعبئة الرأي العام الغربي بضرورة المشاركة في حرب (عاصفة الصحراء) مستغلة حاجة اليابان وأوروبا الغربية إلى نفط الخليج. العنوان هو الدفاع عن الدول المستقلة، وتحريرها من الاحتلال أما الجوهر فهو في السيطرة على آبار النفط في الشرق الأوسط مباشرة، بعدما أيقنت الإدارة الأمريكية بحاجاتها إلى الطاقة النفطية في القرن الواحد والعشرون، وصعوبة توفير بدائل الطاقة.

بالطبع كان الدور الإسرائيلي بارزاً في تشجيع حرب الخليج الثانية، تمهيداً لإيجاد معطيات أمنية جديدة تمهد لفرض تسوية سلمية على العرب وحسبنا في هذا المجال تأمل مؤتمر مدريد للسلام الذي انعقد بعد حرب الخليج الثانية في عام 1991 على قاعدة التنظيمات الأمريكية للدول والجهات المعنية بالحضور¹.

إنّ سقوط الاتحاد السوفياتي، وانهيار النظام الإقليمي العربي بعد الغزو العراقي للكويت، من أهم الأسباب التي مكنت الإدارة الأمريكية من الحديث على نظام دولي جديد، والتذرع لوجود وظائف أمنية وسياسية لحلف شمال الأطلسي، وعليه برزت بعد الحرب الباردة

¹ نفس المرجع، ص ص 27-28.

الإستراتيجية الأطلسية في الشرق الأوسط بصورة تدريجية، ومبرراتها انتشار أسلحة الدمار الشامل في عدد من دول الجنوب، وخصوصا بعد تبعث القوة النووية السوفياتية، وحصول عدد من الدول الإفريقية والآسيوية على بعضها كما أشارت بيانات الحلف، وكيف إذا وصلت مثل هذه الأسلحة إلى دول عربية وإسلامية؟

ثمة اعتبارات إيديولوجية كشف عنها بعض مسؤولي دول الحلف، تبرز الإنذافية الأطلسية إلى الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، نذكر منها على سبيل المثال، وزير الدفاع الإيطالي "فيرجيلي رونيوتي" في معرض حديثه عن زيادة دور إيطاليا العسكري في الجنوب، وداخل القواعد العسكرية الأطلسية.

قبل هذه الأهداف وبعدها، يبقى الهدف الأمريكي في تحويل الحلف إلى أداة عسكرية وأمنية قادرة على تثبيت قيادة الولايات المتحدة للنظام العالمي. ويقتضي ذلك تذليل العقبات مع الشركاء الأوروبيين، بالضغط أحيانا وبالتعاون الأمني والاقتصادي أحيانا أخرى، فالإدارات الأمريكية المتعاقدة سعت إلى توسيع الحلف، باستقطاب أعضاء جدد إليه من أوروبا الوسطى والشرقية لقد صارت هذه المسألة قضية محورية في السياسة الخارجية الأمريكية منذ قمة لندن في عام 1990 مهدت لإقرار مخطط توسيعي في الحلف في قمة بروكسل سنة 1994¹.

-عناق أطلسي روسي:

يحتاج حلف الناتو أيضا أن يضع نصب عينيه في تحقيق هدف إستراتيجي تاريخي بعدي المدى فيما يخص علاقته بالاتحاد الروسي، فروسيا لم تعد عدوًا، ولكنها مازالت تنتظر إلى حلف الناتو بعين العداء. ولا يرجح أن تتغير هذه النظرة الروسية قريبًا، خصوصًا إذا ما

¹ نفس المرجع، ص ص 31-32.

عاد "فلاديمير بوتين" إلى سيادة الحكم مرة أخرى سنة 2012 بالإضافة إلى ذلك، فإن سياسة روسيا تجاه الناتو، فمن المرجح أن تحاول روسيا، على خلفية استيائها التاريخي من هزيمة الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة. وتحت شعار معارضتها لتوسع الناتو، أن تحاول تعزيز الانقسام بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وحتى داخل أوروبا نفسها، وبين أعضاء الناتو القدامى، وأعضاء الناتو الجدد، وبالتالي، فإنه لا يرجح أن تنظم روسيا في المستقبل القريب إلى حلف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

لكن ثمة حقيقة أخرى، هي أن الحلف لن يعود الحلف نفسه في حال انضمت روسيا العسكرية غير الديمقراطية إليه، ورغم ذلك فإن التعاون السياسي والأمن الوثيق مع روسيا قد يؤدي إلى المصالحة، تماما كما فعلت بريطانيا وفرنسا وألمانيا من قبل. وينبغي على الناتو أن يحدد هدفين استراتيجيين أساسيين في تعاونه مع روسيا، وهما: زيادة تماسك الأمن في أوروبا من خلال حمل روسيا على التعاون بشكل أوثق سياسيا وعسكريا مع المجتمع اليورو-أطلسي، وإشراك روسيا في شبكة أمنية عالمية أوسع، وبالطبع، فإن تحقيق هذين الهدفين سوف يخدم مصالح روسيا القومية الأساسية، فمنطقة روسيا الأوراسية الغنية بالمعادن، تشهد انخفاضًا مطردًا في عدد سكانها، وهي منطقة محاطة بحوالي 500 مليون أوربي، و1.5 مليار صيني شرقًا، والتفكير بتشكيل محور روسي صيني معاد للغرب، سيكون ضربًا من الأوهام، لأن الفائدة من تشكيله ستظل محل شك عند الصينيين، كما أنه سيجعل من روسيا الأضعف اقتصاديا والأعجز ديموغرافيا بمثابة شريك الأصغر والأضعف أمام الصين.¹

وفي هذه المرحلة يمكن للناتو أن يكون العربة الدافعة باتجاه التغيير الإيجابي في الشرق، خصوصا وأنّ أحدا من جيران روسيا من الدول المستقلة حديثا لا يرغب بأن تكون

¹ غنيل شبيب، حلف الشمال الأطلسي واستهداف العالم، جمادي الأول 1430، مايو 2009م، ص 24.

مستعمرة لها أو أن يدور في فلكها مجدداً، وبالتالي يمكن لشراكة الشرقية التي اقترحها بولندا والسويد أن تكون أداة فعالة تشجع على قيام روابط أوثق بين الاتحاد الأوروبي وأرمينيا وأذربيجان وبيلا روسيا وجورجيا ومولدوفا وأوكرانيا، مما يستجيب للتطلعات هذه الشعوب لإقامة روابط أوثق مع الاتحاد الأوروبي.

إن تجدد الصراع النفوذ أوروبيا، وإزدياد أسباب عدم الثقة بين الدول الأوروبية نتيجة الخبرات التاريخية الثقيلة الوطأة عليها. من شأنه أن يفسر جانبا بين أسباب التعامل الأوروبي الشديد الإضطراب مع أحداث البلقان، ولكن كثيرا من تلك الأحداث التي أثارت الاستغراب يجد تفسيراً مقنعاً عن النظر إليه بمنظور الدعم الأمريكي لروسيا أو لموقع روسيا من الأمن الأوروبي وبالتالي تعزيز الموقع الأمريكي المهيمن لدى الأوروبيين بالمقابل، على أسس تجدد الحاجة إلى ما يشبه مظلة وقائية أمريكية، ويوجد عدد من المعطيات على هذا الصعيد:

1. لم تكن علاقات موسكو بصربيا كافية وحدها لفتح الثغرة أمنية تخترق بها الموقع الإحتكاري الجديد آنذاك للسياسة الأوروبية والأطلسية في البلقان.
2. وكانت روسيا نفسها في غاية الضعف والانهيال داخليا عندما اندلعت حرب البلقان ولم يكن عسيرا في مطلعها التدخل أطلسيا أو دوليا دون توقع رد فعل روسي شديد.

أثر تغير النظام الدولي على إستراتيجية الحلف:

نظراً لأن حلف شمال الأطلسي نشأ كحلف دفاعي ضد تهديد محتمل من الشرق فقد احتلت الإستراتيجية للحلف مكانة هامة، ونظراً لتنوع الأعضاء من حيث الموقع والقوة فقد تولد إدراك مختلف لماهية الإستراتيجية المطلوب.

ومن هم كانت الإستراتيجية للحلف محل الخلاف الدائم بين الأعضاء لاسيما بين الولايات المتحدة من جانب والدول الأوروبية الأعضاء في الحلف من جانب آخر.

وقد تزايدت حدة الخلافات في أعقاب حيازة السلاح النووي وامتلاك الاتحاد السوفياتي للصواريخ والقذافات العابرة للقارات الأمر الذي جعل الأراضي الأمريكية معرضة لأول مرة للدمار النووي على نحو ولد شكوكا قوية لدى الحلفاء الأوروبيين تجاه مصداقية الضمانات النووية الأمريكية¹.

وقد تزايد الخلاف في أعقاب تبني مبدأ كنيدي-ماكنمارا أو مبدأ الرد المتصاعد والخيارات المرنة، حيث أدى الإعتماد على السلاح النووي إلى زيادة مخاوف الدول الأوروبية ومطالبتها بدور أكبر في صنع قرارات الحلف كما أدى الاتجاه الأمريكي إلى زيادة الإنفاق العسكري، ونهضت الإستراتيجية لحلف شمال الأطلسي منذ عام 1967 على مبدأ الدفاع المتقدم، الرد المرن "**Flexible repense**"، ذلك انطلاقا من كون حلف يسعى إلى ردع هجوم متوقع من الشرق، الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو وعلى أساس أن الهجوم سيكون بالأسلحة التقليدية وتصاعده ربما يقود إلى الرد النووي².

ومع انتهاء الحرب الباردة وما أدت إليه من تغيير في البيئة الأمنية، سعى قادة الحلف إلى التكيف مع هذه التغيرات، وقد بدأ ذلك بقرار مجلس شمال الأطلسي في جوان عام 1990، حيث رأى قادة الحلف أنه مع أن دور الحلف الرئيسي -الدفاع المشترك لا يزال قائما ومطلوبا، فإن التغيرات في البيئة الأمنية المحيطة تقتضي تغييرا في المهام العسكرية التي تواجه أعضاء الحلف ومن ثم لا بد من إدخال تغييرا على إستراتيجية الحلف العسكرية،

¹-PeninEmille Robert, les grandes problèmes internationaux (Paris : Edition des seuils, 1985), p.25.

²-ماجدة محمد شهود، قضايا عالمية معاصرة، دمشق، مطبعة دار الكتاب، ط2، 1990، ص 113.

وترافق مع ذلك قرار لجنة التخطيط بإجراء مراجعة شاملة للإستراتيجية العسكرية للحلف من أجل وضع متغيرات البيئة وبعد ذلك بحوالي شهر حدد إعلان لندن الصادر في جويلية عام 1990 المبادئ الإسترشادية بشأن إستراتيجية الحلف العسكرية وتشكلت مجموعة لمراجعة الإستراتيجية العسكرية للحلف¹. وبحلول نوفمبر 1991 أكملت المجموعة عملها. ومن هم أصدر قادة الحلف إعلان روما في نوفمبر عام 1991 حول السلام والتعاون²، وأكد على أن التحديات والمخاطر الأمنية التي أصبح الحلف يواجهها تختلف في طبيعتها عما كانت في الماضي من حيث:

- أن خطر الهجوم المفاجئ في وسط أوروبا قد تراجع، واتسعت مدة الإنذار بالنسبة للحلفاء.
- إن التهديد بهجوم شامل على كلّ جهات الحلف الأوروبية لم يعد قائماً وبالتالي لم تعد نقطة التركيز في إستراتيجية الحلفاء.
- إن المخاطر التي يواجهها الحلفاء أصبحت متعددة الأوجه والجهات مما جعل من الصعب التنبؤ بها وتقييمها، ويتعين على الحلف أن يكون قادراً على الرد على هذه المخاطر لضمان الاستقرار في أوروبا.
- الحفاظ على علاقات سليمة مع دول جنوب المتوسط والشرق الأوسط فإستقرار دول جنوب المتوسط أمر ضروري لأن الحلفاء كما بينت حرب الخليج الثانية، وتزداد هذه الأهمية بسبب انتشار تكنولوجيا السلاح في المنطقة بما فيها أسلحة الدمار الشامل والصواريخ الباليستية القادرة إلى الوصول إلى أراضي أعضاء الحلف.

¹- زرقونة صلاح سالم، الناتو بين المرحلتين السياسية الدولية، ع129، أبريل 1997، ص 69.

²- مصطفى أحمد أبو الخير، النظرية العامة للأحلاف العسكرية، ط1، (د.ب.ن)، إيثراك للنشر والتوزيع، 2005، ص 245-246.

أي هجوم عسكري على أراضي الحلفاء من أي اتجاه سوف يواجه حسب نص المادتين من معاهدة واشنطن، ومع ذلك يجب أو يوضع في الاعتبار أن أمن الحلفاء

- يمكن أن يتأثر بعوامل أخرى ذات طبيعة أوسع تشمل أسلحة الدمار الشامل، وتعطيل تدفق الموارد الحيوية والعمليات الإرهابية والتخريب، وأشار البيان إلى ضرورة التشاور بين الحلفاء.

وبذلك تكون قمة الحلف في روما في نوفمبر 1991 قد أقرت إستراتيجية عسكرية جديدة للحلف تنهض على أربعة مبادئ:

- أ. استمرار الحلف في أداء الدور الدفاعي عبر الدفاع الجماعي.
- ب. الحفاظ على وحدة أمن الأعضاء.
- ت. الحفاظ على هيكل القوات الموحدة للاستمرار في أداء مهمة الدفاع الجماعي.
- ث. استمرار الاعتماد على كلّ من الأسلحة التقليدية والنووية.

فقد أقر الحلف مبدأ التعاون مع دول حلف وارسو -السابق- وذلك بإنشاء مجلس تعاون شمالي الأطلسي الذي خرجت منه الشراكة من أجل السلام وفتحت الأخيرة الطريق أمام انضمام عدد من دول حلف وارسو السابق إلى حلف شمالي الأطلسي¹.

¹- مصطفى أحمد أبو الخير، المرجع السابق، ص 246.

المبحث الثاني:

الإستراتيجية الأطلسية في الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

بدأ اهتمام حلف الناتو بمنطقة الشرق الأوسط منذ عام 1991، عقب قمة قادة دول الحلف في روما، إذ تمت التوصية بإقرار صيغة إستراتيجية جديدة للحلف التي جاء في سياقها أن الناتو يولي السياسة الأمنية للدول الشرق أوسطية، وأكد أن الإستقرار والسلام على الحدود الجنوبية لأوروبا مهم جدًا لأمن التحالف.

كما أن المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف، الذي أقره بيان قمة واشنطن عام 1999، أشار إلى أن أمن الحلفاء يتعرض لمخاطر مباشرة وغير مباشرة تأتي من اتجاهات عديدة، تتمثل في تفجير أزمات إقليمية في المناطق المحيطة بالأطلسي، تتجم عن "الإرهاب" والتخريب، والنزاعات العرقية وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والجريمة المنظمة وغيرها.

وهذه المخاطر تنبع من منطقة الشرق الأوسط، وهذه المنطقة هي من أولويات التدخل المنتظر للحلف بوصفها من أقرب المناطق المحيطة به وصار هناك حديث عن إمكانية تدخله تحت اعتبارات المحافظة على القيم الديمقراطية الغربية¹.

المطلب الأول:

أهمية المنطقة بالنسبة للناتو

أولاً: التمدد للشرق الأوسط

بعد نهاية الحرب الباردة، أكد الحلف في كل اجتماعاته على أهمية منطقة المتوسط وضرورة التعاون مع الضفة الجنوبية للمتوسط، بما فيها منطقة الشرق الأوسط، وبهذا شرع

¹ د. محمود حسون، مجلة جامعة دمشق، الإستراتيجية التوسعية لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي، المجلد 26، العدد الثاني، 2010، ص 349.

الحلف بإطلاق حوار عام 1994 مع الدول الضفة الجنوبية للمتوسط، لإرساء قواعد حوار أمني، فبدأ الحوار مع مصر، إسرائيل، المغرب، ونس، ثم انضمت إليه الأردن، وموريتانيا عام 1995، والجزائر في مارس 2000.

ويهدف الحوار المتوسطي سحب واثاق الحلف الأطلسي إلى إقامة علاقات جيدة وتعزيز الثقة في مجمل حوض المتوسط بتشجيع ودعم الأمن والاستقرار وتشجيع علاقات حسن الجوار والتفاهم المتبادل في المنطقة وبتبديد الأفكار الخاطئة حول أهداف وسياسة الحلف¹.

التمدد الإستراتيجي الأطلسي جغرافياً ووظيفياً، وصل إلى الشرق الأوسط دون أن يكتسح هذه المناطق جميعها، صحيح أنه أوجد أطراً للتعاون مع دول عدة من أفغانستان شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن تركيا شمالاً إلى الخليج جنوباً، مرة تحت عنوان حفظ السلام، ومرة تحت عنوان مكافحة الإرهاب، أو إحلال الديمقراطية وحفظ الأمن².

ما بين فرص التمدد والعوائق القائمة أمامها، تبقى التجربة الأطلسية في أفغانستان دليلاً على مقدار النجاح والفشل. تبقى المقاربة الأطلسية للأزمة العراقية، ولو من خلال التدريب العسكري والأمني، دليلاً آخر على مصير النفوذ الأطلسي في الشرق الأوسط، هذه معطيات مرحلة ما قبل الأزمة الاقتصادية والمالية التي ستأخذ أبعاداً سياسية في المدى القريب، كأن تؤثر في طبيعة النظام العالمي ومحدداته الأساسية.

قبل بداية ما سمي (الحرب على الإرهاب)، تلقت إسرائيل دعماً تسليحياً مباشراً من الدول الأطلسية الأساسية في الحلف: الولايات المتحدة، ألمانيا الغربية، فرنسا، بريطانيا،

¹- عبد النور بن عنتر، ص 167.

²- عدنان السيد حسين، التوسع الأطلسي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، السنة 2009، ص 90.

وكان أمن إسرائيل، وما يزال التبرير الأبرز لهذه السياسة الأطلسية سواء على المستوى الجمعي أو على مستوى كل دولة¹.

فلم يغيب الدور الحيوي الذي تمتعت به منطقة الشرق عن عقلية راسمي الإستراتيجيات في حلف الناتو، وبمقدار ما كان الاتحاد السوفياتي سابقا عامل إزعاج وقلق لدول هذا الحلف، ظلت هذه المنطقة عامل إلهام لمطامع الغرب وهيمنته وسيطرته.

وما إن انتهت الحرب الباردة حتى برزت المشاريع التي تستهدف المنطقة (ثروة واستقلالا، وهوية)، وذلك من خلال الحديث عن تهديدات مفتعلة مصدرها الأصولية الإسلامية وأسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط وانتقل مسرح عمليات الناتو إلى هذه المنطقة من أفغانستان إلى العراق مرورًا بإيران والخليج العربي، ومازال المسرح يتسع ليشمل العديد من الدول، وهذا من شأنه التغيير في وظيفة الحلف من الدفاع الجماعي إلى الهيمنة والسيطرة.

ثانيا: التوجهات الكبرى للإستراتيجية السياسية والعسكرية في المفهوم الجديد لحلف الناتو

إنّ ترتيب مهام الحلف في المفهوم الإستراتيجي لعام 1991 بكيفية جعلت المهام الكلاسيكية للحلف (الدفاع المشترك والتوازن الإستراتيجي). في المؤخرة، كان إشارة واضحة إلى عزم أعضائه على تطوير الدور السياسي للمنظمة الأطلسية بشكل يجعلها شيئا فشيئا إطارا حقيقيا لـ"عمل سياسي مشترك موسّع" وكذا توجيه الحلف نحو وسائل العمل السياسي-الدبلوماسي التي تقتضيها طبيعة القضايا الأمنية المستجدة في البيئة الجديدة².

¹- نفس المرجع، التوسع الأطلسي، ص 91.

²- Rols de WIJK « NATO on the Brink of the New Millani: the Battle for consensus », Atlantic commentaries (London Bracey's), N°02, spring 1997, p141.

إن ما يمكن أن يدل عليه ترتيب مهمة حفظ الأمن والاستقرار في أوروبا في المقدمة هو وعي الحلفاء التام بتراجع أهمية الكلاسيكية في مقابل تصاعد تحدي جديد بالنسبة لحلف الناتو، مواجهة الأشكال الجديدة من المشاكل الأمنية في كامل القارة الأوروبية، إضافة إلى تعريف المفهوم الإستراتيجي الجديد للمخاطر على الأمن والاستقرار في أوروبا بمفردات أكثر شمولية واتساعاً كما سبق ورأينا، فإنه تضمن إعلاناً واضحاً لتصميم الحلف على توسيع دائرة اهتمامها الأمنية إلى كامل أرجاء القارة الأوروبية وحتى خارجها، انطلاقاً من قناعة الجميع بأن الحلف "إن لم يذهب خارج منطقته فإنه سيذهب كلية"¹.

هذه القناعة عكسها المفهوم الجديد للحلف الذي تضمن إعلان موافقة أعضائه على قيام الناتو بتدخلات تتجاوز الحدود الإقليمية المقصودة هنا هي ما تشير إليه المادة السادسة من اتفاقية واشنطن باسم المنطقة المحمية "Zone protégée" وهي التي تغطي أقاليم جميع الدول الأعضاء في الحلف.

وإضافة إلى عرض الخطوط الكبرى للإستراتيجية السياسية للحلف الأطلسي تعرضت وثيقة روما إلى توضيح الوجهات الكبرى للإستراتيجية العسكرية في المفهوم الجديد، وهي أول مرة يدمج فيها العنصرين بتفاصيلهما وكذا المرة الأولى التي ينشر فيها الحلف وثيقة تتعلق بهذا الميدان الحساس، وهذا مؤشر على الشفافية التي تميز المحيط السياسي الجديد. ونشير هنا إلى أنّ الولايات المتحدة كان لها اليد الطويلة في صياغة هذا الجانب من إستراتيجية الحلف الجديدة، فقد ضغطت واشنطن بشكل كبير حتى يتقبل الجميع مبدأ أن "الضمان الأعلى" "Garantie suprême" لأمن الحلفاء يبقى على عاتق القوات الإستراتيجية للولايات المتحدة، وهو الأمر الذي لم تتقبله فرنسا التي عرضت رؤى بديلة تعرضها في مواضيع لاحقة.

¹-NATO. The mantrawent, munt go out of area an out business.

وثيقة روما تؤكد أن "الدور الأساسي للقوات النووية للحلفاء سياسي" إنه الحفاظ على السلم والوقاية من التهريب أو أي شكل من أشكال الحرب.

وتعلن الوثيقة أن تعداد القوات النووية المتموقعة في أوروبا والتابعة للناتو سيتم تقليصه تدريجيا كليا ونوعيا، على أن يبقى في مستوى فعال وكافي للحفاظ على السلم والإستقرار، وهو ما تم تطبيقه فعلا لاحقا.

وحسب المفهوم الجديد فإنّ القوات النووية أصبحت "سلاح اللجوء الأخير بمعنى أنها ستستعمل فقط عندما لا تكفي الوسائل التقليدية، وهنا نلاحظ قطيعة مع المذهب السابق "الرد المتدرج" الذي استندت عليه قوة الردع النووي للناتو منذ عام 1967، وطبقا لمفهوم الإستراتيجي الجديد، فقد تخطى الناتو عن إستراتيجية الأمام (Stratégie de l'avant)¹.

إعادة هيكلة قوات الحلف وإصلاح بنية القيادة:

ولتمكين الحلف من القيام بالمهام الجديدة أشار المفهوم الجديد إلى ضرورة إعادة هيكلة قوات الحلف بشكل يحفظ فعاليتها العسكرية ومصادقيته ويسمح للقوات بالتكيف مع المذهب الجديد، وبصفة عامة قوات الحلف أصبحت مقسمة إلى ثلاث أصناف:

- قوات الرد الأنّي والسريع.

- قوات الدفاع الأساسية.

- قوات الدعم والإسناد.

وتتضمن البنية الجديدة قيادتين إستراتيجيتين بدل ثلاث:

• القيادة الإستراتيجية الحليفة لأوروبا: وتضم قيادتين جهويتين.

¹-L'arme du dernier recours.

- القيادة الإستراتيجية الحليفة للأطلسي وتنظم ثلاث قيادات جهوية¹.

حفظ السلام وإدارة الأزمات، المهمات الجديدة:

على الرغم من الإنجازات التاريخية لقمة روما التي أثبتت من خلالها الناتو قدرة كبرى على التكيف والتحول إلا أن المفهوم الإستراتيجي لعام 1991 لو يوضع بشكل كامل المهام الجديدة التي كان على الحلف توسيع اختصاصاته لضمّها إن أراد البقاء. ولكن التطورات التي أعقبت قمة روما جعلت الحلف يخطو خطوات جريئة في هذا الاتجاه.

ففي خضم تداعيات حرب الخليج الثانية وانفجار الوضع في يوغسلافيا سابقاً قرر مجلس شمال الأطلسي توسيع هذه المهمة إلى المشاركة في عمليات حفظ السلام التي تجري تحت سلطة مجلس الأمن الدولي.

أما بخصوص قدرة الحلف الأطلسي على القيام بمهامه الجديدة، فيرى الأستاذ دافيد لايتبورن "David Lightbourn" أنه لا توجد أيّ منظمة أفضل من حلف الناتو بإمكانها توفير الإمكانيات اللازمة لجلب مزايا الإستقرار من حيث أنّ:

1. الحلفاء بإمكانهم استعمال قدرات وخبرة مؤكدة للتدخل السريع في وضعيات معقدة في الميدان الإنساني أو الأمني.
2. يملك الناتو جملة من الموارد الإستراتيجية والوسائل المنفردة التي يملكها غيره.
3. حلف الناتو ودوله الأعضاء يمكنهم توفير قوات عسكرية بحجم ومستوى تحضير لا يمكن مساواتها.

¹-Général Klans Nauman « la nouvelle structure de commandement Militaire de l'OTAN, Revue de l'OTAN printemps, 1998, p10.

4. يمكن لحلف الناتو أن يوفر للمنظمات الدولية قدرة واسعة وخبرة طويلة في التخطيط المتعدد الأبعاد¹.

قمة واشنطن أبريل 1999، مفهوم استراتيجي جديد للقرن الجديد:

جاء الإعلان الرسمي عن قرار الحلفاء بمرجعة المفهوم الإستراتيجي للحلف الأطلسي لعام 1991 خلال قمة مدريد لرؤساء الدول والحكومات أعضاء الحلف في جويلية 1997م، حيث أعرب القادة عن قناعتهم بأنّ المفهوم الإستراتيجي بحاجة إلى الفحص والمراجعة بغية تكييفه بشكل أفضل مع تطورات البيئة الأمنية في أوروبا التي عرضت تحولات نوعية منذ قمة روما عام 1991. وكذا لتحضير الحلف للمستقبل، كما أوصوا بأن تكون المقترحات في هذا المجال جاهزة لدراستها والبت فيها في القمة المقبلة بواشنطن، وتأكّدت الحاجة إلى ذلك بعد مستجدات الوضع في البلقان كما رأينا.

قمة واشنطن المتعددة ما بين 23 و26 أبريل 1999م صادفت احتمال الحلفاء بحدث تاريخي، عيد الميلاد الخمسين لحلف الناتو. والذي تم إحياءه في نفس القاعة التي تم فيها التوقيع على اتفاقية شمال الأطلسي المؤسسة، ولكن هذه القمة لم تكن للاحتفال فقط بمنجزات الماضي وتبادل التهاني، بل كانت قمة لتحضير المستقبل وتحديد المهام والأدوار الجديدة بكيفية تمكن الحلف من مواجهة التحديات في مجال الأمن للخمسين سنة المقبلة. ولأجل ذلك كانت الأولوية الأولى تجديد المفهوم الإستراتيجي الذي سيقود الحلف عند دخوله القرن الحادي والعشرون.

وهكذا تمت الموافقة على مفهوم استراتيجي مجدد، بعد أن قسم مفهوم عام 1991، بشكل يحقق التكيف المطلوب ويحفظ حيوية مستديمة للحلف الأطلسي².

¹-David Light burn, « l'OTAN et le Défi du maintien de la paix Multifonctionnel, Revue de l'OTAN, Mars 1996, p.12.

²-Guillaume Parmantier. « Après le Kosovo Pour un contrat transatlantique » politique Etrangère, printemps, 2000, p9.

ففي إطار الحلف المجدّد قرر أعضاء الناتو تحديد "خمس مهمات أطلسية للقرن الواحد والعشرين، بحيث تم الاحتفاظ بالمهمات الثلاث الأولى المتضمنة في مفهوم عام 1991م. بينما حذفت المهمة الرابعة واستبدلت بمهمتين أساسيتين جديدتين.

وفي ما يلي المهمات الخمس التي تضمنها المفهوم الإستراتيجي المجدّد في قمة واشنطن:

- المهمة الأولى: خلق بيئة ومحيط أمني مستقر في المنطقة أور-أطلسية.
- المهمة الثانية: توفير إطار أطلسي مهم يسمح للدول الحليفة بالتشاور حول جميع القضايا المرتبطة بمصالحهم الحيوية.
- المهمة الثالثة: ممارسة وظيفة الردع والدفاع الجماعي ضد أي لاعتداء أو خطر أو تهديد يستهدف أي دولة من الدول أعضاء الحلف الأطلسي.
- المهمة الرابعة: الإستعداد في جميع الحالات والأحوال، ومن خلال وفاق تام للمشاركة في مهمة وقاية فعالة من النزاعات، والمشاركة مباشرة في إدارة الأزمات، بما في ذلك المساهمة في عمليات الرد على هذه الأزمات.
- المهمة الخامسة: ترقية علاقة واسعة للشراكة والتعاون والحوار مع دول أخرى في المنطقة الأور-أطلسية، وذلك في إطار تدعيم الشفافية والثقة المتبادلة والقدرة على التحرك الجماعي في إطار الحلف الأطلسي¹.

ثالثاً: إشراك روسيا

إنّ تجدد صراع النفوذ أوربيا، وإزدياد أسباب عدم الثقة بين الدول الأوروبية نتيجة الخبرات التاريخية الثقيلة الوطأة عليها، من شأنه أن يفسر جانباً من أسباب التعامل الأوربي

¹- نفس المرجع، ص10.

الشديد الاضطراب مع أحداث البلقان، ولكن كثيراً من تلك الأحداث التي أثارت الاستغراب يجد تفسيراً مقنعاً عند النظر إليه بمنظور الدعم الأمريكي لروسيا أو لموقع روسيا من الأمن الأوروبي وبالتالي تعزيز الموقع الأمريكي المهيمن لدى الأوروبيين بالمقابل، على أساس تجدد الحاجة إلى ما يشبه مظلة وقائية أمريكية.

ويوجد عدد من المعطيات الثابتة على هذا الصعيد:

1. لم تكن علاقات موسكو بـصربيا كافية وحدها لفتح ثغرة أمنية تخترق بها الموقع الإحتكاري الجديد آنذاك للسياسة الأوروبية والأطلسية في البلقان.
2. وكانت روسيا نفسها في غاية الضعف والانهيـار داخليا عندما اندلعت حرب البلقان ولم يكن عسيراً في مطلعها التدخل أطلسيا أو دوليا دون توقع لرد فعل روسي شديد¹.
3. وبقيت قضية حرب البلقان فترة لا بأس بها خارج نطاق التأثير الروسي بالفعل، فكان التعامل مع أحداثها يجري على أرضية السياسة الأوروبية في مؤتمر لاهاي ثم لندن.
4. وكانت أوروبا نفسها -رغم نزاعاتها على النفوذ في البلقان- رغبة في وضع حدّ للحرب القريبة من عواصمها.

وقد طرحت في حينه أسئلة عديدة عن أسباب التأخر زمنا طويلاً عن اتخاذ قرار التدخل العسكري غربيا أو دوليا، رغم وجود دواعيه والقدرة عليه بإضعاف ما كان في حرب الخليج الثانية من قبل. وكان المانع الرئيسي طوال الأعوام الثلاثة الأولى للحرب في البلقان هو رفض واشنطن للتدخل أو امتناعها عن الموافقة عليه أطلسيا.

رغم أنّ السياسة الأمريكية في تلك الفترة كانت تتجه إلى تطوير حلف شمال الأطلسي ليكون أداة أمنية عسكرية خارج نطاق الأمم المتحدة. فقد كانت واشنطن تحديداً من وراء

¹ غنـيـل شـبـيـب، حلف الشمال الأطلسي واستهداف العالم، جمادي الأول، 1930هـ، أيار، مايو 2009م، ص 24.

العمل على نقل قضية البلقان من ساحتها الأوروبية -آخر مواطنها مؤتمر لندن- إلى ساحة الأمم المتحدة، حيث كان من المنتظر تلقائياً أن يصبح لموسكو دور مباشر في صناعة قرار الحرب والسلام فيها. وهو ما يمكن وصفه بالثغرة الرئيسية لعودة موسكو إلى المشاركة في رسم معالم الخريطة الأمنية في أوربا، وما ساهم بالمقابل في التمسك الأوروبي مجدداً بحلف شمال الأطلسي والموافقة على إعادة صياغة مهامه الأمنية وفق رغبات زعامته الأمريكية¹. علاوة على تعزيز موقع موسكو أوربا، ساهمت السياسة الأمريكية في تعزيز مخاوف الدول الأوروبية الغربية من بعضها بعضاً، وهو ما يمكن التدليل عليه عبر مثالين يثيران إلى مواقف يصعب تفسيرها على نحو آخر، منها:

1. التأييد الأمريكي السريع واللافت للنظر في أواخر عهد جورج بوش الأب للوحدة الألمانية دون التشاور المسبق، التقليدي في مثل هذه القضايا، مع لندن وباريس ورغم علنية الاعتراضات والمخاوف البريطانية والفرنسية آنذاك، ثم اتخاذ الرئيس الأمريكي كلينتون في مطلع عهده ومع ازدياد التساؤلات الأوروبية عن مستقبل دور ألمانيا الموحدة، موقفاً استعراضياً يصفها فيه الحليف الأول في أوربا، مثيراً بذلك حفيظة الحليف البريطاني، ومضاعفاً من اعترافاته على الوحدة الألمانية، كما تشهد مذكرات رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تانشر.

2. وتكررت الصورة مرة أخرى أثناء تبني ألمانيا دعوة التوسع الأطلسي والأوروبي شرقاً، ومعارضتها أمريكياً، إذ كان من الحجب الأمريكية التي وردت في لقاء قمة فرنسي-أمريكي بين كلينتون وشيراك، إشارة واشنطن إلى تعاظم الدور الألماني في أوربا نتيجة للموقع الجغرافي المتوسط مما يمكن أن يجعل التوسيعية تجري على حساب فرنسا سياسياً وأمنياً، وهو ما ساهم في إشارة مخاوفها، ومقابل ذلك كانت السياسة

¹ نفس المرجع، ص 25.

الأمريكية تركز على التعاون مع ألمانيا في منطقة البلقان -كما في ألمانيا- وفي دفعها إلى أقناع فرنسا بالتخلي عن مواقفها "السلبية" من حلف شمال الأطلسي مع الإشارة لألمانيا إلى أن التمييز الأوروبي سيعزز المكانة القيادية لصالح فرنسا على حساب ألمانيا وموقع زعامتها الأوروبية اعتمادًا على الطاقة الاقتصادية والمالية وليس العسكرية، وتلك سياسة أمريكية يصح وصفها باللعب على "جبلين"¹.

لذلك سعى حلف الناتو أن يضع نصب عينيه تحقيق هدف إستراتيجي تاريخي بعدي المدى فيما يخص علاقته بالاتحاد الروسي، فروسيا لم تعد عدوًا ولكنها مازالت تنتظر إلى حلف الناتو بعين العداء. ولا يرجح أن تتغير هذه النظرة الروسية قريبًا، خصوصًا إذا ما عاد فلاديمير بوتين إلى سدة الرئاسة مرة أخرى سنة 2012. بالإضافة إلى ذلك، فإن سياسة روسيا تجاه الناتو، فمن المرجح أن تحامل روسيا، على خلفية استيائها التاريخي من هزيمة الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة. وتحت شعار معارضتها لتوسع الناتو. أن تحاول تعزيز الانقسام بين الولايات المتحدة وأوروبا وحتى داخل أوروبا نفسها، وبين أعضاء الناتو القدامى وأعضاء الناتو الجدد، وبالتالي، فإنه لا يرجح أن تنظم روسيا في المستقبل القريب إلى حلف تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، لكن ثمة حقيقة أخرى، هي أن الحلف لن يعود الحلف نفسه في حال انضمت روسيا العسكرية غير ديموقراطية إليه، ورغم ذلك فإن التعاون السياسي والأمني والوثيق مع روسيا قد يؤدي إلى المصالحة، تمامًا كما فعلت بريطانيا وفرنسا وألمانيا من قبل، وينبغي على الناتو أن يحدد هدفين إستراتيجيين أساسيين في تعاونه مع روسيا وهما زيادة تماسك الأمن في أوروبا من خلال حمل روسيا على التعاون بشكل أوثق سياسيًا وعسكريًا مع المجتمع اليورو-أطلسي، وإشراك روسيا في شبكة أمنية عالمية أوسع، وبالطبع، فإن تحقيق هذين الهدفين يتطلب رفقا وصبرا، إلا أن الجبل الجديد من القيادة

¹ نفس المرجع، ص ص 25-26.

الروسية سوف يدرك في النهاية أن تحقيق هذين الهدفين سوف يخدم مصالح روسيا القومية الأساسية. فمنطقة روسيا الأوراسية الغنية بالمعادن، تشهد انخفاضاً مطرداً في عدد سكانها¹. وهي منطقة محاطة بحوالي 500 مليون أوربي و1.5 مليار صيني شرقاً، والتفكير بتشكيل محور روسي صيني معاد للغرب، سيكون ضرباً من الأوهام، لأن الفائدة في تشكيله ستظل محل شك عند الصينيين، كما أنه سيجعل من روسيا الأضعف اقتصادياً والأعجز ديموغرافياً بمثابة شريك الأصغر والأضعف أمام الصين².

على الرغم من هذا التقارب الروسي-الأطلسي ودفاع يلستن عن خياراته السياسية والأمنية المرتبطة بحاجة موسكو للدعم الغربي اقتصادياً ومالياً وسياسياً، خصوصاً مع خطة (مارشال الجديدة) التي أعلنها الرئيس كلينتون والمخصصة لأوروبا الشرقية، بحيث تتوفر ظروف مساعدة لها كي تنتقل إلى اقتصاد السوق... فإن المعارضة الروسية ظلت نامية وفاعلة فبرزت المجموعات القومية والشيوعية السابقة فضلاً عن القيادة العسكرية الذين يرفضون التنازلات الروسية أمام التوسع الأطلسي... ويتمسكون بصيغة روسيا القومية، ويتطلعون إلى دور روسي فاعل في الأمن الأوروبي مع تقاوم حروب ونزاعات البلقان³.

رابعاً: إستراتيجية حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط.

أ- قمة براغ الأطلسية 2002: أكد الحلف في هذه القمة على ترابط الأمن الأوروبي والأمن المتوسط. وقرر تدعيم عملية الحوار التي طرحها عام 1994، وهذا القرار الخاص بتطوير الحوار المتوسطي جاء تحت وقع أحداث 11 سبتمبر 2001.

¹- ترجمات الزيتونة 46، أجندة جديدة للناتو نحو شبكة أمن عالمية، العدد 10/9 سنة 2009، ص12.

²- المرجع نفسه، ص 13.

³- المرجع نفسه، ص 13.

يشغل البحر المتوسط موقعا جغرافيا حريا مهما، إذ اتصل مياهه بين شواطئ قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا، وتمر عبره طرق المواصلات البحرية والجوية الدولية الواصلة بين دول الشمال الرأسمالية وبين جنوب وجنوب شرق آسيا وكذلك استراليا¹.

ب-وقد تبنا في هذه القمة وثيقة بعنوان "تعزيز الحوار المتوسطي مع وضع بيان بمجالات التعاون الممكنة"، تتدرج هذه الوثيقة ضمن سياق ما بعد الحادي عشر سبتمبر ذلك أن الحلفاء شددوا على التعاون في مجال محاربة الإرهاب وعلى إمكانية إشراك الشركاء المتوسطيين في خطة عمل الشراكة بين مجلس الشراكة الأورو-أطلسي والشراكة من أجل السلام لمكافحة الإرهاب².

ج-تزامنت قمة أسطنبول مع الذكرى العاشرة لإطلاق الحوار الأطلسي المتوسطي في 2004 وقرر الحلفاء في هذه القمة تعزيز الحوار ورفعاه إلى شراكة حقيقية، والهدف هو تعزيز الأمن الإقليمي والإستقرار وخاصة التعاون في مكافحة الإرهاب.

إن الجديد في قمة اسطنبول الجديد لم يخص الحوار المتوسطي ب كان إطلاق مبادرة باتجاه بلدان الشرق الأوسط، منطقة جد حيوية بالنسبة للولايات المتحدة وأن المبادرة تتزامن واحتلالها للعراق³.

¹- الدكتور محمد حسون، إستراتيجية حلف الناتو الشرق الأوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية، المجلد 24، العدد الأول، 2008، ص31.

²- عبد النور بن عنتر، ص170.

³- عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الجزائر، أوروبا والحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة المصرية للطباعة، 2005، ص175.

تزامنت قمة أسطنبول مع الذكرى العاشرة لإطلاق الحوار الأطلسي المتوسطي في 2004 وقرر الحلفاء في هذه القمة تعزيز الحوار ورفعته إلى شراكة حقيقية، والهدف هو تعزيز الأمن الإقليمي والإستقرار وخاصة التعاون في مكافحة الإرهاب.

إن الجديد في قمة اسطنبول الجديد لم يخص الحوار المتوسطي ب كان إطلاق مبادرة باتجاه بلدان الشرق الأوسط، منطقة جد حيوية بالنسبة للولايات المتحدة وأن المبادرة تتزامن واحتلالها للعراق¹.

وعبر هذا الطريق تتزود الدول الأوروبية بنفط الشرقين الأدنى والأوسط وإفريقيا، ويمثل احتياط هذه المناطق من النفط تلقي احتياط العالم، فضلا عن غناها بالمواد الأولية والغذائية، وكذلك سوقها الإستهلاكي الكبير.

دفعت تلك العوامل بالولايات المتحدة الأمريكية إلى إنشاء سلسلة من القواعد البحرية والجوية في البحر المتوسط، وربطت كلا من تركيا واليونان وإيطاليا وإسبانيا بحلف شمال الأطلسي، لتزيد بذلك قدرتها على التأثير في الأوضاع السياسية والعسكرية للمنطقة لفرض سياستها وبسط نفوذها عليها.

ومفهوم الشرق الأوسط مفهوم استعماري، بدأ استخدامه مع الفكر الإستراتيجي البريطاني "ألفرد ماهان" الذي أورد هذا المصطلح في مقالة كتبها عام 1902 نشرت في مجلة "ناشيونال" ريفيو اللندنية بعنوان: "الخليج العربي والشرق الأوسط" ثم عمت التسمية مجمل القارة الأوروبية للدلالة على موقع منطقة معينة من العالم بالنسبة إلى القارة الأوروبية وتمتد هذه المنطقة من مصر والسودان غربا إلى إيران شرقا، وتضم تركيا والمشرق العربي وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر وصولا إلى القرن الإفريقي على أن هذا

¹- عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الجزائر، أوروبا وحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة المصرية للطباعة، 2005، ص175.

التحديد الجغرافي لم يكن دقيقاً وحاسماً عند الإستراتيجيين وكثيراً ما أضيفت ليبيا في الغرب أو باكستان في الشرق إلى منطقة الشرق الأوسط مما يؤكد حداثة التسمية وارتباطها بالإستراتيجيات الغربية، ولاسيما وأن تعبير المنطقة العربية هو الذي كان سائداً في الخطابات والوثائق السياسية والإستراتيجية قبل الحرب العالمية الأولى وما تلاها من تطورات دولية¹.

وتكتنف المنطقة شكوك إزاء الدور الذي يمكن أن يؤديه الناتو في دعم الرؤية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط الكبير، وكثيراً ما تطلق التصريحات كتلك التي جاءت من الأمين العام للحلف إبان جولته في المنطقة في أكتوبر 2005، والتي أكد فيها أن الحلف لا يعتزم التصرف باعتباره شرطي العالم وليست لديه النية ولا القدرة التي تؤهله للقيام بذلك.

ويرتبط دور الناتو بالمصالح الاقتصادية والسياسية والنفطية والأمنية المشتركة بين دول الحلف ودول المنطقة، ويعتمد خريطة طريق جديدة في منطقة الشرق الأوسط تتركز على محورين رئيسيين.

المحور الأول:

الناتو وعملية الإصلاح والتغيير الداخلي: وهو ما كشف عنه بوضوح نيكولاس بيرتز "وهو دبلوماسي أمريكي خدم في أربع إدارات أمريكية، وعلى دراية واسعة بملف الشرق الأوسط، ويشغل حالياً سفير الولايات المتحدة لدى الحلف" أمام مؤتمر حلف الناتو والشرق الأوسط الكبير الذي عقد في 19 أكتوبر 2004 قائلاً: «كان الحلف يركز في الماضي على الداخل، على تهديدات الحرب الباردة الموجهة إلى قلب أوروبا، أما مستقبل الحلف فسوف يتركز على الخارج على التحديات التي تشكلها شبكات الإرهابيين العالمية. وعلى

¹ - نفس المرجع ، ص32.

أمن أعضائها من قوس عدم الإستقرار الممتد من آسيا الجنوبية والوسطى إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا»¹.

وكانت وزيرة الخارجية الأمريكية "كونداليزا رايس"، قد أعلنت في ديسمبر 2003 عندما كانت مستشارة للأمن القومي: «إن المطلوب من الناتو المشاركة في عمليات التغيير في المنطقة العربية عبر فتح مكاتب له في البلدان العربية تتولى مهام المراقبة ولتأكد من الإصلاحات المتخذة»، وهذا يعني أن الولايات المتحدة تريد من الناتو أن يشرف على عمليات التغيير في المنطقة (وفق الرؤية الأمريكية)².

وتحت شعارات الحرية والديمقراطية ومحاربة الإرهاب وقد اتجه الحلف للتحرك في المنطقة على مستويين:

المستوى الأول: المستوى الرسمي الحكومي.

وهو يتجاوز المهام العسكرية التقليدية إلى مهام جديدة تتمثل في حفظ السلام والأمن الإقليمي ومن خلال الشراكة التي يختلط فيها العسكري بالسياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث تهدف في النهاية إلى إحداث تغيير في بنية دول المنطقة، وهذا يعني أن يكون الحلف أحد عناصر تشكيل سياسات الدول التي قبلت مبدأ الشراكة.¹

المستوى الثاني: هو المستوى الشعبي عبر الحكومي.

حيث يعتبر الحلف ما يطلق عليه "الدبلوماسية العامة" وقد أنشأ لها وحدة خاصة في فترة الرئيس (بوش الابن) في بروكسال على غرار ما تبنته الإدارة الأمريكية أواخر العام

¹- نيكولاس بيرينز "يبقى حلف الناتو تحالفنا الأساس"، موقع الإعلام الخارجي تابع لوزارة الخارجية الأمريكية على شبكة الانترنت: <http://usinfo.state.gov>

2003، عقب احتلال العراق من أجل تحسين صورتها القبيحة.¹ وهذا بالضبط ما قاله الأمين العام للحلف "هوب شيفر" أمام مجموعة من الصحفيين العرب تمت دعوتهم خلال شهري سبتمبر وأكتوبر **2005** إلى مقر الحلف بالعاصمة البلجيكية، بروكسال قائلاً: «أريد أن نحسن صورتنا في عالمكم العربي لأهميته البالغة لنا»، وفي هذا السياق، شرع الحلف يصدر منشورات باللغة العربية بهدف تعريف القارئ العربي بتحول الناتو للقيام بمهام إنسانية تخدم الشعوب العربية والإسلامية، كما تم تعيين أشخاص يتحدثون العربية للعمل مع وحدة "الدبلوماسية العامة" في مقر الحلف في بروكسال.²

المحور الثاني: الناتو وأزمات المنطقة.

سعى الناتو للتكيف مع البيئة الأمنية الجديدة لعالم ما بعد الحرب الباردة وذلك من خلال المفهوم الإستراتيجي الجديد للحلف الذي تبناه في قمة واشنطن **1999**، ويتمثل هذا المفهوم في بعدين رئيسيين.

الأول: تبنى مفهوم جديد يحول مهمة الحلف من مجرد الدفاع عن الجغرافية الأطلنطية والفضاء الأطلنطي كمجال جغرافي رئيسي للحلف إلى دفاع عن مصالح الشركاء الحلف وأعضائه عبر العالم كله مما يعني إسقاط الجغرافية وما تمثله من حواجز على المجال الأمني للحلف.

الثاني: عدم تقييد تحركات الحلف بقرارات من مجلس الأمن الدولي، وهذا يعني دخوله في عمليات عسكرية في أي مكان من العالم دونما حاجة لاستصدار قرار من مجلس الأمن في هذا الشأن.

¹ - Atlantic news (10 octobre 2005), p. 2.

² - نفس المرجع، ص ص 35-36.

وفي إطار هذا المفهوم الإستراتيجي الجديد أعلن الحلف أول مرة في تاريخه عن أولى عملياته العسكرية خارج نطاق الحلف بتولييه قيادة قوات حفظ السلام الخاصة بأفغانستان، وذلك عام 2003 كما اقترب من المنطقة العربية عبر مقترحات تتعلق بإرسال قوات غير قتالية لمهام تدريبية في العراق واستعداده للقيام بدور ما لدعم أي اتفاق لتسوية الصراع العربي الصهيوني¹.

ومن الملاحظ أن التفاهم بين أطراف حلف شمال الأطلسي حيال الشرق الأوسط لا يزال قائما على الصعيد الإستراتيجي بوجه عام من خلال:

1. تثبيت كيان إسرائيل في المنطقة العربية، وضمان تفوقها النوعي على العرب والتمهيد لإقامة نظام شرق أوسطي جديد بديل عن النظام العربي وبمشاركة إسرائيلية فاعلة، وتلك سياسة قديمة ومستجدة على صعيد الإستراتيجية الأطلسية.

2. السيطرة المباشرة على منابع النفط في منطقة الشرق الأوسط عموما، والخليج العربي خصوصا والسيطرة على الممرات الإستراتيجية و خطوط إمداد النفط بما يضمن تدفقه والتحكم بأسعاره وتشهد منطقة الشرق الأوسط كثافة في تدخلات حلف الناتو المباشرة على الصعيد العسكري، تتخذ مظاهر عدة من التدخل المباشر كما هو الحال في أفغانستان والعراق، أو عبر القواعد الثابتة، إلى انتشار أساطيل الحلف في البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب.

ولم يعد خافيا أن المنطقة العربية تتعرض لهجمة أطلسية جديدة بقيادة الولايات المتحدة، تتقنع بأقنعة كثيرة، وتتستر وراء شعارات الديمقراطية وحماية الأقليات... إلخ. ولكنها تظل تستهدف بالأساس موارد النفط من المنبع إلى المصب، والضغط على قوى المانعة

¹- نفس المرجع، ص 37.

العربية بغية منع تكاملها واستقرارها ونموها وتحديثها، وإثارة التناقضات بينها على المستوى القومي والفطري. واستنزاف الفوائض المالية للدول العربية وصولاً إلى ضرب مقومات الأمن القومي على مختلف الصعد لتأمين المزيد من الحماية لإسرائيل وعدوانيتها على المنطقة. واستمرارية احتلالها للأراضي العربية في فلسطين وسوريا ولبنان.

ومن منظور واشنطن، فإن المبدأ الجديد يمكن الولايات المتحدة الأمريكية من إلزام أوروبا بالمشاركة في المغامرات المستقبلية في أي مكان من العالم، وبالنسبة للكثيرين من خارج حلف الناتو، فإن عمل الناتو باسم مصالح الولايات المتحدة يبدو مستهجنًا وغريبًا¹.

المطلب الثاني:

تدخلات الناتو في المنطقة

1- تدخل الناتو في أفغانستان:

الناتو يقود منذ أوت 2003 الجهود الدولية لحفظ السلام في أفغانستان، مساهما كذلك في خلق الشروط اللازمة لتمكن البلد من فرض حكومة تمثله وسلم وأمن لهم ديناميكية خاصة.

هذه العملية لا مثيل لهما هي الأولى التي يقودها الناتو خارج منطقة الأورو-أطلسي كان الهدف الأساسي للمهمة هو حماية كابول وظواحيها لكن توسعت إلى مناطق أخرى من البلد، بواسطة فرق إعادة إعمار المحافظات (PRT) تحديداً الناتو يقترح مساعدة الحكومة الأفغانية لحفظ السلام في مناطق عملياته، ونشر سلطته عبر كامل تراب الوطن، وترسيخ شروط الأمن والأمان الملائمة لعقد انتخابات حرة وعادلة في تطويره إلى دولة القانون

¹- نفس المرجع، ص38.

وبناءه، بعد سقوط نظام طالبان وغلق معسكر القاعدة، اجتمع القادة الأفغان في بون بألمانيا في ديسمبر 2001، ورأوا وبمساعدة من المجتمع الدولي البدء في عملية إعمار البلد. بحيث تم تشكيل حكومة جديدة وبقرارات مجلس الأمن الدولي 1444، 1413، 1386 تم تأسيس سلطة أفغانية مؤقتة وقوات دولية مساعدة للحماية لتسمح للسلطة المؤقتة بنفسها ومهمة مساعدة الأمم المتحدة للعمل في منطقة كابول وضواحيها في شروط أمنية معقولة اتفاق بين قائد "FIAS" والسلطة المؤقتة الأفغانية لتقديم توجيهات إضافية للعمليات "FIAS"¹.

بداية كان "FIAS" تحت إدارة المملكة المتحدة ثم تركيا وبعدها في فيفري 2003 أصبحت تحت القيادة المشتركة لألمانيا وهولندا اللتان طلبتا بهذه المناسبة دعم الناتو في أوت 2003. التحالف أخذ بنفسه مسؤولية "FIAS" ومن بينها سمحت بحل مشكل البحث كل ستة أشهر، ودول جديدة ومؤهلة وراغبة في أخذ الزيادة في هذه المهمة.

لم تستقر تركيبة "FIAS" منذ إنشائه، أين أدرجت قوات أو مساهمات 26 دولة عضو في لناتو، وكذلك كثير من دول أخرى كألمانيا: أذربيجان، كرواتيا، إستونيا، فنلندا، جورجيا، الجمهورية اليوغوسلافية المقدونية سابقا، إيرلندا، نيوزيلندا والتي تلعب دور المقر العام على مستوى العمليات في الأصل أن نواة المقر العام لقوات "FIAS" في كابول تأسسا من طرف القيادة المشتركة للوسط في هايدلبرغ بألمانيا التي كان بها أول قائد ناتو لقوات "FIAS"، ثم القيادة أصبحت لكندا وبعدها إلى أوروبا تحت قيادة فرنسية ثم تركيبة وتلتها إيطاليا، ومع الوحدات المدنية للمساعدة أصبح مجموع قوات "FIAS" حوالي 8000 شخص.

¹-Le rôle de l'alliance dans les opérations de maintien et de soutien de la paix. Chapitre 16, le rôle de l'OTAN en Afghanistan. P175. Document téléchargé depuis : <http://www.cairn.info>. 11/10/2016. 12 :14.

ويرتقب المخطط الدوري للمحضر مساعدة طويلة الأمد للمقر العام في مهامه لقوات "FIAS" على الأقل إلى جانفي 2008، في جانفي 2004، عين الناتو السيد "حكمت ستين" وزير تركي للشؤون الخارجية سابقاً.

في منصب الممثل المدني الأعلى للناتو في أفغانستان والمكلف بإحراز تقدم في جانب السياسة العسكرية لالتزام التحالف في أفغانستان يتلقى الممثل الأعلى المدني توجيهاته من حلف الشمال الأطلسي¹.

ويعمل بتنسيق وثيق مع قائد قوات "FIAS" ومهمة مساعدة الأمم المتحدة في أفغانستان، وكذلك مع السلطة الأفغانية ومنظمات دولية أخرى حاضرة في البلد.

*توسع مهام قوت "FIAS":

إن تبني قرار المجلس الأمن الدولي رقم 1510 في أكتوبر 2003 أعطى إمكانية توسيع الدور الذي تلعبه قوات "FIAS" في مساعدة الحكومة الأفغانية في مناطق أخرى من الوطن وضواحي العاصمة. وفي ديسمبر 2003 سمح حلف الشمال الأطلسي للقائد الأعلى لقوات التحالف في أوروبا باتخاذ عمليات التوسع بحيث تمثل فرق إعمار المقاطعات "PRT" الحجر الأساسي في هذه العملية وهي فرق تضم أشخاص مدنيين وعسكريين دوليين مكونين شراكة عسكرية-مدنية والتي أدمجت فيها العناصر العسكرية إلى سلسلة قيادة قوات "FIAS". هذه الأخيرة لها دور أول في مساعدة الحكومة الأفغانية لنشر سلطتها على إقليمها وتسهيل تطور الأمن في كل المنطقة وعليها تأسيس علاقات مع السلطات المحلية وتقوية الحماية في مناطق العمليات الخاصة. دعم نشاطات إعادة الهيكلة لقطاع الأمن واستعمال الوسائل والقدرات التي لديها لتسهيل جهود التشهيد في المحافظات.

¹- المرجع نفسه، ص ص 175-176.

إن "PRT" تشكل شيء جديد، هذا التصور الفعال يبين تأثيره كوسيلة تؤدي إلى تأسيس محيط أمن وتسمح للدول الرئيسية، والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية لإنجاز دورهم في المساعدة للحكومة الأفغانية لتشييد البلد¹.

في ديسمبر 2003 "FIAS" أخذت قيادة فرق "PRT" "لكندوز" "Kunduz" التي قادتها لحد ذلك الوقت ألمانيا، وهذا إثر المشروع التجريبي وكمرحلة أولى في عمليات التوسعة، وفي نهاية 2004 قوات "FIAS" أخذت قيادة التشكيلة العسكرية للفرق الخمس لـ "PRT" شمال أفغانستان وبغلان وفيزاباد وكندوز وميمنة ومزار شريف أين تولى الناتو أيضا في نصف 2005 مسؤولية الفرق الأربع لـ "PRT" (إعمار المقاطعات) في غرب البلاد في حران، فرح، شقشران، وقلهناو وفي الإجمال يقود الناتو تسعة فرق حوالي 50 بالمائة من الإقليم الأفغاني. قرر الناتو أيضا أخذ مسؤولية فرق "PRT" الإضافية في جنوب وشرق أفغانستان، الذي يمكن فرض التآزر مع عمليات الحرية الدائمة "Enduring Freedom" التي تقودها الولايات المتحدة لأمريكية. إن التشكيلة والامتداد الجغرافي لفرق "PRT" ثم تحديدها من طرف القوات العسكرية للناتو والدول الرائدة بالتشاور في إطار ضيق مع مهمة المساعدة للأمم المتحدة في أفغانستان والسلطات الأفغانية، ووفقا للحالة الخاصة السائدة في المحافظات التي تعمل بها فإن الأهداف الخاصة لكل فرقة من "PRT" تأخذ بعين الاعتبار عوامل كالوضعية المحلية في جانب الأمن وتقدم التعمير وحضور الوكالات الدولية الأخرى².

¹- نفس المرجع، ص ص 176-177.

²- نفس المرجع، ص 177.

2- تدخل الناتو في ليبيا:

قرار التدخل في ليبيا كان تحت اللائحة الأممية 1970 و 1973 الذي تم اعتماده من طرف مجلس الأمن الدولي في 17 مارس 2011 القاضي بإحالة القضية الليبية إلى المحكمة الجنائية الدولية، حظر الأسلحة والسفر، تجميد الأصول الليبية في الدول الغربية وإقامة منطقة حظر طيران جوي في الأجواء الليبية بالإضافة إلى قرار الجامعة العربية رقم 7298 بتاريخ 02 مارس 2011، والطلب من مجلس الأمن الدولي تحمل مسؤولية اتجاه الأوضاع في ليبيا، أمر أعطى الشرعية الدولية لإقامة حظر جوي على ليبيا واستخدام القوة المسلحة لحماية المدنيين، هذا التدخل العسكري للحلف الأطلسي طرح العديد من التساؤلات التي بقيت محل نقاش وجمال بعد أن كان خيار التدخل مستبعدًا خصوصًا في ظل الظروف والمواقف التي شهدتها التحولات في المنطقة العربية في كل من تونس ومصر وسوريا ليتم التساؤل حول تدخل الحلف الأطلسي في ليبيا وعدم تدخله في دول عربية أخرى تعاني شعوبها من نفس القمع. بالتعمق في التحليل الإستراتيجي للأزمة الليبية سيتضح كيف أن حالة ليبيا التقى فيها الملتزم الأخلاقي مع المصلحي وفقًا للتوصيات التي قدمها الحلف الأطلسي أنه في حالة التدخل في أي صراع أو نزاع بين الطرفين سيتم اتخاذ القرار وفقًا لثلاثة شروط تم صيغتها كآتي:

- اتفاق السلام.
- قرار مجلس الأمن الدولي.
- طلب رسمي من الأطراف المعنية.

هذه الشروط صاغها الأمين العام للحلف الأطلسي "يابدي هوب شيفر" بشأن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي وهي صياغة تخدم إسرائيل على حساب فلسطين¹.

لكن بالنظر في حالة ليبيا نجد أن هذه الشروط قد تم صياغتها حسب رؤية الحلف بشأن التدخل في ليبيا كما يلي:

- طلب داخلي من المعنيين أنفسهم حيث يعتبر أن الشعب الليبي طلب المساعدة الدولية لإنقاذه من المجازر التي كان لنظام القذافي سيقترفها في حقه.
- وجود شرعية دولية عبر قرار مجلس الأمن الدولي الذي يثير إلى التدخل لحماية المدنيين (تحرك في إطار الشرعية الأممية).
- وجود مطالبة إقليمية بالتدخل كان بمثابة شرعية إقليمية-عربية للتدخل في ليبيا.

للتعمق أكثر في التحليل حول الأسباب الحقيقية للتدخل الأطلسي في ليبيا بالإعتماد على الجانب المصلحي الذي طغى على اتخاذ قرار التدخل سنجد أن له ارتباط بالأسباب التالية:

- ارتكاب القذافي خطأ إستراتيجي باستخدامه القوة المسلحة لإسقاط المقاومة في ليبيا التي تحولت إلى متمردين يحملون السلاح، وهو ما أدى لعسكرة الإنتفاضة.
- الحسابات الإستراتيجية والتاريخية بين الغرب وليبيا عن نظام القذافي وتمويله للحركات الانفصالية وعناصر العمليات الإرهابية والتي مست بالمصالح الأمريكية، وقد عفت عما سلف بإبرام اتفاق 2003 الذي تخلت بموجبه ليبيا عن برنامجها النووي مقابل ضمان أمن النظام².

¹- ليلي طورشي، دور حلف الشمال الأطلسي في المتوسط "دراسة في مبادرة الحوار الأطلسي المتوسط"، ومذكرة ماستر في العلوم السياسية، قسم الدراسات الاستراتيجية والعسكرية، تخصص دراسات إستراتيجية، المدرسة العليا للعلوم السياسية، 2012/2011، ص 81.

²- نفس المرجع، ص 82.

- معارضة القذافي بشدة لمشروع الاتحاد من أجل المتوسط ومحاولته حشد الدول العربية ضده بدعوى أنه يفصل عرب إفريقيا عن بقية القارة مما أثار حفيظة فرنسا.
- سياسة ليبيا في إفريقيا التي تعرقل وتصطدم بالنفوذ الفرنسي في القارة السمراء والتي جعل منها منافسا للوجود الفرنسي هناك، حيث أن تمويل القذافي لبعض الإستثمارات في إفريقيا كتمويله للقمر الصناعي الإفريقي للاتصالات المدنية أفقد قوى اقتصادية غربية عائدات مالية معتبرة.

كما أن ليبيا بقوتها المالية تساهم في بناء بعض المؤسسات الإفريقية مثل صندوق النقد الإفريقي، وهو ما كانت تنظر إليه فرنسا والقوى الغربية بحذر لأنها ترى القارة تقلت جزئيا من قبضتها الاقتصادية، ومن هنا فإن الموقف الفرنسي يجب تحليله كذلك في إطار صراع النفوذ في إفريقيا بقيادة فرنسا الحملة على ليبيا مرده خطتها في ربح الاستثمار والعقود.

- ويعد النفط العامل الحاسم من أجل السيطرة عليه لضمان التعويضات سواء المتعلقة بالعمليات العسكرية للحلف الأطلسي في مناطق أخرى خاصة المستنقع الأفغاني أو ما خلفته الأزمة المالية العالمية، فثراء ليبيا النفطي يطمئن القوى المتدخلة بأن مجهودها العسكري سيدفع نقداً وهي مسألة على درجة كبيرة من الحساسية خاصة بالنسبة لقوى تعاني من أزمة مالية خانقة، ففرنسا مثلا التي تعاني أوضاع اقتصادية وسياسية حرجية تسببت في تدهور شعبية نيكولا ساركوزي "Nicolas Sarkozy" إذ كانت الأزمة الليبية بالنسبة لقوى تعاني من أزمة مالية خانقة¹.

ففرنسا منذ الوهلة الأولى الحملة التحريضية ثم التعبئة للحشد الدولي من أجل التدخل في ليبيا معتمدة في ذلك أيضا على موقف الجامعة العربية.

¹- نفس المرجع، ص 83.

عموما دور الحلف الأطلسي في ليبيا تجلى في تركيزه الإغلاء من قضية حماية المدنيين بحسب بروتوكول مسؤولية الحماية الذي يمنح الدول الأعضاء والمجموعة الدولية مسؤولية المساعدة في حماية الشعوب من الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والتطهير العرقي والجرائم ضد الإنسانية.

إلا أنه في حقيقة الأمر دمر في قصفه ليست فقط القوات العسكرية الليبية بل وجميع المظاهر الحضارية والمدنية ودمر أكثرية المنشآت الصناعية والخدماتية، وأنزل مئات الآلاف من القنابل والصواريخ على رؤوس الأبرياء والعزل وكذلك العسكريين في الجيش الليبي، وقام الناتو بتسليح الميليشيات الإسلامية والقومية بأنواع الأسلحة والعتاد العسكري خوفا من نهوض الجماهير بقدرتهم وآفاقهم المستقلة وإرادتهم المستقلة كما في حالة ثوري تونس ومصر. إن تدخل الغرب عن طريق حلف الناتو كانت بمثابة قمع الثورات والنهوض الثوري في المنطقة العربية. وساند هذه الحملة جميع دول الخليج تقريبا إضافة إلى تركيا مع صمت روسيا الدولية القريبة من نظام القذافي آنذاك. وأن إحدى أهداف مشاركة الناتو كانت أيضا إضعاف دور روسيا في الشرق الأوسط والعالم العربي¹.

وإذا نظرنا إلى ليبيا بعد أزمة سنوات من سقوط القذافي ونظامه، نلاحظ أهداف الناتو الحقيقية بوضوح من تدخلها، وليس ادعاءاتها الكاذبة آنذاك بدفاعها عن الشعب الليبي وعن مصيره. نلاحظ بأن أهداف الناتو وسياسته حققت بالكامل وهي إبعاد الجماهير وإنهاء المد الثوري والقضاء على الإدارة المستقلة للجماهير في تقرير مصيرهم بأنفسهم.

واليوم نلاحظ بأن الجماهير العالمية والكادحة ليس بلا إرادة فقط بل وأصبحت حياتهم ومعيشتهم مهددة يوميا وإرادتهم الإنسانية مسحوقة بين الحروب والإقتال الدائر بين

¹- نفس المرجع، ص 83.

المليشيات الإسلامية والجماعات المتصارعة على السلطة. فتحوّلت ليبيا من دولة واحدة مستبدة إلى عدة دويلات مستبدة تحكمها شرعية الغاب. الأقوياء يقتلون ويأكلون الضعفاء. وتتدخل الدول الإقليمية يوميا في الشؤون الليبية ولدى كل طرف عملائه ومليشياته الخاصة من أجل السيطرة والتحكم بتدمير كل ما تبقى من الإنسانية والمدنية¹.

انطلاقا من استمرار التهديدات التي تواجه مصالح حلف الناتو وأعضائه خارج أراضيه فقد جاء إصدار ذلك المفهوم أكثر وضوحا وتحديدا بشأن التدخل الأطلسي في الأزمات حيث يتضمن ما يلي:

- يمتلك الحلف مقدرات سياسية وعسكرية نادرة يمكنها التعامل مع الأزمات سواء قبل أو أثناء أو بعد نشوئها.
- البيئة الأمنية لم تعد أراضي الناتو، إذ أن الصراعات والإضطرابات التي تشهدها الدول الواقعة خارج حدود الناتو قد تلقي بظلالها على أمن دول الناتو ذاتها، يقع ضمن هذا الإطار قضية أمن الطاقة، حيث أن الجزء الأكبر من الإستهلاك العالمي من إمدادات الطاقة يمر عبر أراضي مختلف بلدان العالم وبالتالي فإن تلك الإمدادات قد تكون عرضة للمخاطر والهجمات والإنقطاع.
- وطبقا للنظام الأساسي للحلف، باستخدامه الوسائل السياسية والعسكرية لتحقيق أهدافه فإنه لم تعد هناك من وسيلة إلا سوف يستخدمها من أجل تحقيق أهدافه:
- محاولة تغيير النظام السياسي لدولة عربية معينة.

¹- أحمد عادل، نتائج تدخل حلف الناتو في ليبيا، مقال منشور على موقع:

-<http://www.ilalaman.com/article-detail.aspx?ArticleId=343&AuthorID=39#.VWHNN9IVTjY>.

- التدخل لمنح حق تقرير المصير لفئة قومية أو دينية معينة وهو مثال واضح على شمال العراق.
- التدخل في قضية الصراع العربي-الإسرائيلي، وذلك من خلال الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية إذا ما شرعت إسرائيل تتسحب انسحاباً أحادي الجانب من الأراضي الفلسطينية المحتلة كافة بعد عام 1967.

المطلب الثالث:

مستقبل الحلف في المنطقة.

لدراسة استشرافية أو مستقبلية للحلف هناك ثلاث مشاهد، ومنها سيناريو خطي من خلال تبيان استمرارية الوضع الراهن للحلف في الحاضر وسيناريو تفاؤلي في محاولة للحلف تحقيق طموحاته المستقبلية في إطار سعيه لخدمة أهداف العولمة، ثم سيناريو تشاؤمي أو الإنهيار وهو حال فشل الحلف في تحقيق أهدافه وتطوير عقيدته وهياكله السياسية والعسكرية وتكييفها مع التحولات الدولية نتيجة عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية تساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بإمكانية تفكك الحلف وانتهياره.

سيناريو البقاء على الوضع القائم:

إن الحديث عن استمرارية الحلف الأطلسي في مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 يشير إلى وجود عدة مبررات موضوعية لبقائه تنطلق أساساً من عوامل تماسك الأحلاف مثلما دعت إليه نظرية التهديد المتمثلة في ضرورة وجود تهديد، وهي حقيقة جوهرية وجدت مفادها في البيئة الأمنية الشرق أوسطية، خاصة لما بعد 11 سبتمبر 2001، والتي طرحت تهديدات أمنية جديدة عابرة للقارات: الإرهاب الدولي، الهجرة غير

الشرعية، الجريمة المنظمة¹، الحروب الإلكترونية، أسلحة الدمار الشامل، تهريب المخدرات، مشاكل التنمية الشاملة، القرصنة... إلخ، وفي هذا السياق عمل الحلف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة إستراتيجية جديدة تتضمن في طياتها تحقيق العديد من الأهداف والأدوار الجديدة بهيكله سياسية وعسكرية قادرة على احتواء مثل هذه التهديدات والتكيف مع ديناميكية التطورات الراهنة.

وبالشكل الذي يقتضي ضرورة وجود قوة مهيمنة في الحلف تتولى القيادة والتخطيط وهذا ما يعرف في أدبيات الأحلاف بعلاقات ما بين الأحلاف ذاتهم، بحيث تبرز مظاهر هيمنة هذه القوة في الحلف في قوة ردعها وقدرته التأثيرية والإقناعية للدول بضرورة إستمراره، ومن ثم تحمل تكاليف وأعباء ذلك²، خير دليل على ذلك مبادرة اسطنبول عام 2004، التي شهدت دعوة دول مجلس التعامل الخليجي لإقامة تعاون أمني مع حلف الناتو، فهي تهدف إلي تعزيز الأمن والإستقرار الإقليميين من المشاركة بعمليات يقودها الحلف ضد العمليات الإرهابية، أو ضد محاولات تهريب الأسلحة والمواد التي يمكن استخدامها في تصنيع أسلحة الدمار الشامل³.

سيناريو الفشل:

يمكن تقسيم العوامل المحتملة لضعف الناتو وتفككه إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية وهي:

¹ السيد مصطفى أبو الخير، النظرية العامة للأحلاف العسكرية، مصر: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص559.

² ممدوح ممدوح منصور، سياسات التحالف الدولي، دراسة في أصول نظرية التحالف الدولي ودور الأحلاف في توازن القوى واستقرار الأنساق الدولية، الإسكندرية، مكتبة مدبولي، 1997، ص ص 172-174.

³ خير سالم ذيابات، دور حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 1990-2013، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، العدد 1، 2016، ص41.

أولاً: العوامل الداخلية: تتمثل في الانقسامات الداخلية الناتجة عن عدة عوامل وهي:

1-العامل الإيديولوجي:

إن الإختلاف الإيديولوجي بين الدول الأعضاء في الحلف سيؤدي إلى اتساع مساحة الخلافات، والفشل في تحقيق التنسيق بين الحلف والبيئة الشرق أوسطية.

2-عامل الأعباء والتكاليف:

مثلت الأعباء والتكاليف الدفاعية للحلف الأطلسي مشكلة مستديمة طوال سنوات الحرب الباردة وما بعدها خاصة في بيئة ما بعد 11 سبتمبر 2001، حيث تحملت فيه الولايات المتحدة كافة نفقات الدفاع عن أوروبا وحماية مصالحهم الخارجية أو مساهمتها لتمويل عملية التوسع نحو الشرق أو في البحر المتوسط أو الشرق الأوسط.

3-عامل الانسلاخ:

وهو أسوء السيناريوهات الداخلية التي قد تضعف الناتو وتدفع إلى تفككه مادام يتضمن احتمالات انسحاب بعض الأعضاء الأصليين منه وبالتحديد فرنسا وتركيا.

ثانياً: العوامل الخارجية.

بروز قوى إقليمية أو دولية تشكل تحديات لدوره في فرض الهيمنة على النظام الدولي، ومن ذلك احتمالات بروز تحالفات إسلامية أو إسلامية عربية في المنطقتين الشرقية والجنوبية المناهضة للمصالح الغربية وهي تحالفات يمكن أن تشكل تحديات كبرى

لإستراتيجية الناتو العسكرية إذا ما انسخت تركيا لتصبح عنصراً حيوياً فيها بدلاً من أن يكون وسيلة لاحتوائها¹.

أما دولياً:

هناك التفاهم الاستراتيجي الروسي-الصيني عام 1996 الذي جاء كرد فعل عن مشروع الناتو ضمن مناطق آسيا الوسطى والأهم من ذلك احتمالات بروز تفاهم استراتيجي ياباني-صيني يمكن أن تتمثل فيه كل عناصر القوة العالمية من بشرية اقتصادية، سياسية وعسكرية بل وحتى ثقافية.

سيناريو النجاح:

إن بقاء الحلف الأطلسي، وتطوير إستراتيجيته ونجاحه في كلّ مرة في تجاوز التحديات ما هو إلا مظهر آخر من مظاهر العولمة في بعدها العسكري والتي تهدف إلى الهيمنة الغربية للدول الرأسمالية بقيادة واشنطن وفي هذا السياق فإن تحقيق عولمة الناتو يمر بمجموعة من المراحل، المرحلة الأولى مرحلة الضم أي ضم الدول التي كانت تابعة لحلف وارسو ثم مرحلة العدو البديل له في الإستراتيجية الجديدة ألا وهو الإسلام، بالرغم من زوال الخصم (حلف وارسو) فإن حلف شمال الأطلسي محكوم بالبقاء فضلاً عن أن أطرافه تحقق الكثير من المصالح الهامة من خلال هذا البقاء وأبرز تلك المصالح².

¹- زهرة شيخ الشيوخ، العقيدة الإستراتيجية للحلف الأطلسي بعد الحرب الباردة (1991-2008). مذكرة لنيل شهادة الماجستير فرع العلاقات الدولية، تخصص دبلوماسية وتعاون دولي، جامعة الجزائر دالي إبراهيم (3)، 2011-2012، ص21.

²- د/محمد جميل الشخيلي، الإستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي في منطقة الخليج العربي، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية متحصل عليه من الموقع: <http://www.rawabetcenter.com/archives/3255.10>

- الحفاظ على علاقات تحالف وروابط قوية بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وتعزيز المظلة الأمنية الأمريكية لأوروبا.
- ففي ضوء التطور التكنولوجي للأسلحة النووية أصبحت معظم الدول الأعضاء تمتلك السلاح النووي، وبالتالي فإن بقاء حلف الناتو واستمراره يؤدي إلى صيانة وتنظيم علاقة أطرافه ويعمل على تقييد طموحاتهم وتنظيم إمكاناتهم العسكرية وطاقاتهم النووية والحيلولة دون العودة إلى بناء جيوش وطنية كما كان الأمر في الماضي.
- إقامة شراكة مع المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والهيئات التابعة لها، أو مع منظمات غير حكومية مثل لجان حقوق الإنسان لإحتواء الكوارث والإبادة الجماعية والتواجد في أماكن النزاعات والعمل على إنهاؤها.
- توسيع المفهوم الإستراتيجي لمواجهة الأخطار المحتملة مثل: الإرهاب، وتهديد الملاحة البحرية وأمن الطاقة، ومنع الهجمات الإلكترونية، وتشويه القيم الديمقراطية، وإضطهاد المرأة، والتمييز العنصري.
- التفاهم مع روسيا وطمأنتها إلى أن الناتو لا يستهدف أمنها الوطني ولا قوى الردع الإستراتيجي لديها، وإشراكها في عملية الردع الإستراتيجي ومكافحة الإرهاب، وإدارة الأزمات العالمية، وخاصة بعد سوء الظن الذي اعتري روسيا من تصرفات الأطلسي في الحرب الروسية-الجورجية¹.

¹- الرفيق عبد الله الأحمر، استراتيجية الناتو بين التاريخ والواقع، متحصل من الموقع:

-<http://www.baath-party.org/index.php?option=com.9> :07.

خلاصة الفصل:

تشكل حلف الشمال الأطلسي لفرض تنفيذ مهام إستراتيجية عسكرية ذات منحى سياسي واقتصادي، وشكل حلقة من حلقات سياسية الاحتواء التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي "ترومن" بهدف تطويق الخطر السوفياتي واحتوائه بسلسلة من الأحلاف العسكرية واستمر الحلف بأداء دوره طيلة فترة الحرب الباردة.

ويفترض بعد تفكك الاتحاد السوفياتي تنتفي الحاجة والدور العسكري لهذا الحلف بعد تحقق الغاية من تشكيله، ولكن المثير للجدل لدى كبير من المفكرين هو عملية التحول من العقيدة العسكرية الدفاعية إلى العقيدة العسكرية الهجومية وتنفيذ مهام حربية هجومية. فقد أصرّ المدافعون عن بقاء الناتو على أهميته بعد انتهاء الحرب. حيث عدّ بقاؤه أهم مما كان خلال تلك الحرب ويرون أيضا أنّ استمرار الحلف يعني استمرار الدور القيادي الأمريكي باعتبار الناتو الأداة المؤسسية الأهم لضمان نفوذها ومنع عودة ظهور قوة عظمى منافسة.

فقد جاءت الإستراتيجية الجديدة للحلف والمتضمنة التدخل لمواجهة النزاعات العرقية والإقليمية التي تهدد مصالحه من خارج نطاق دوله، وهو ما برز في مشاركته بمهام ودور عسكري محوري في غزو أو احتلال أفغانستان والعراق وليبيا، بما يسمى بحروب السيطرة على الموارد التي تستند في مفاهيمها الإيديولوجية إلى فكر المحافظين الجدد في أمريكا، ومخططاتهم للهيمنة الكونية، وفق فلسفة صدام الحضارات، ومزجها مع رؤوس الأموال الكبرى الأمريكية (الشركات متعددة الجنسيات، النفط، السلاح، المرتزقة...). للهيمنة على مقدرات وثروات الشعوب وإعادة المنطقة الشرق أوسطية إلى مفهوم الاستعباد والاستعمار، وفتح أسواق صناعية، ونقل واحتكار النفط والغاز، وترويج سوق السلاح.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه حول إستراتيجية حلف الناتو الجديدة في منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1. لم تحقق إستراتيجية حلف الناتو الجديدة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 الأمن و الإستقرار في منطقة الشرق الأوسط ، بل أصبح الوضع الأمني الذي يواجهه الشرق الأوسط يتسم بالخطورة ، و يبدو أنه متجهًا صوب المزيد من العنف و عدم الإستقرار ، و ذلك لتعدد التهديدات أهمّها متاجرة الأسلحة وظاهرة الإرهاب. و هذا الأخير تنتظر إليه الدول الغربية بأنه ينطلق من مبررات داخلية ليتغذّى خارجيًا. بمعنى أن ظاهرة الدول الفاشلة في المنطقة هي السبب في ظهور الجماعات المتطرفة كما أن فساد الأنظمة أصبح يغطى بمبرر الإرهاب . في حين أن دول الشرق الأوسط ترى عكس ذلك بأن الأطراف الخارجية تغذّي التطرف و تدعّمه لأجل خدمة أغراض سياسية.

2. بالرغم من كثرة اتفاقيات و مبادرات التعاون بين الحلف و دول الشرق الأوسط إلا أن كل طرف يحمل الآخر مسؤوليته عن المشاكل الأمنية ، ما عرقل الكثير من المبادرات الأمنية في المنطقة .

3. أصبحت دول الشرق الأوسط تعاني تصاعد الكثير من التحديات المتفاعلة التي تواجه دور و مهام حلف الناتو في المنطقة منها ظاهرة الدولة الفاشلة و كذلك صراعات النفوذ الدولية و الإقليمية في المنطقة و الأكثر إنتشارًا و خطورة الحروب الأهلية ، مما يهدد مصالح الدول الغربية التي يجب عليها أن تقوم بتدخلات مباشرة لإنهاء هذه الحروب ، بيد أنه من الممكن أن تؤدي مثل هذه التدخلات لمزيد من الفوضى في المنطقة إذا ما تم الإنحياز لطرف على حساب الآخر.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

I-اللغة العربية:

❖ د.ممدوح مصطفى، الصراع الامريكي السوفياتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة.

❖ حيدر رضوي، القوات العسكرية الإيرانية في الخليج، جريدة التغيير. محصل عليه من الموقع : [http :www.al-tabees.com/art814.html](http://www.al-tabees.com/art814.html).2013/5/17.
16 :30

❖ وليد محمود عبد الناصر، التنافس العالمي على النفوذ والثروة في المنطقة العربية، مجلة السياسة الدولية، ملف العدد189.

❖ نبيل شبيب، حلف الشمال الأطلسي واستهداف العالم، ماي 2009 .

❖ ترجمات الزيتونة 46 أجندة جديدة للناتو نحو شبكة أمن عالمية، العدد 10/9 سنة 2009.

❖ د.محمود حسون، الإستراتيجية التوسعية لحلف الناتو وأثرها على الأمن القومي العربي، المجلد26 العدد الثاني 2010.

❖ د.عدنان السيد، التوسع الأطلسي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، السنة 2009.

❖ د. محمد حسون، إستراتيجية حلف الناتو الشرق أوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية، المجلد 24 العدد الأول، سنة 2008.

❖ ليلي طروشي، دور حلف الشمال الأطلسي في المتوسط، دراسة في مبادرة الحوار الأطلسي المتوسطي، مذكرة ماستر في العلوم السياسية، قسم الدراسات الإستراتيجية والعسكرية، تخصص دراسات إستراتيجية المدرسة العليا للعلوم السياسية، سنة 2011/2012.

❖ أحمد عادل نتائج تدخل حلف الناتو في ليبيا مقال منشور على موقع :
[http://www.ilalaman.com/article-Detail.aspx?Article id :343&](http://www.ilalaman.com/article-Detail.aspx?Article%20id%3A343&)

Authar ID :39#.VWHNN9lvTjy.

❖ أحمد سليمان سالم الرجاحلة، الدور التركي الجديد في منطقة الشرق الأوسط الفرص والتحديات، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية،
2014.

❖ د/علي الدين هلال، جميل مطر، النظام الإقليمي العربي، دراسة في العلاقات السياسية العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط7، 2001.

❖ سعيد عدلي حسن، الأمن القومي العربي وإستراتيجية تحقيقه، القاهرة، دار القومية،
1997.

❖ الجحني علي فايز، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، ط1، الرياض، مركز البحوث والدراسات.

❖ ربيع حامد، نظرية الأمن القومي العربي، القاهرة، دار الموقف العربي، 1984.

❖ عبد الله عماد حسين، إدارة الأمن في المدن الكبرى، الرياض، دار النشر، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

❖ نافع محمد عبد الكريم، الأمن القومي، الجزء الأول، القاهرة.

❖ الدايل، عبد الله ابراهيم، فلسفة الإستراتيجية القومية ودور مجلس التعاون لدول الخليج العربي في تحقيق أمن الخليج، رسالة دكتوراه، الرياض، أكاديمية ناصر العسكرية.

❖ ماكنامارا روبرت، جوهر الأمن (يوسف شاهين، مترجم)، القاهرة، الدار القومية،
1972.

❖ حرب أسامة الغزالي، أمن الخليج والأمن القومي العربي، بيروت، الدار العربية،
1984.

❖ المشاط عبد المنعم، نظرية الأمن العربي المعاصر، القاهرة، دار الموقف العربي، 1987.

❖ المشاط عبد المنعم، نحو صياغة عربية لنظرية الأمن القومي، مجلة المستقبل العربي، العدد 54.

❖ عبد الحي، وليه، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية، الجزائر، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، ط1، 1994.

❖ د/صلاح نيوف، مدخل الفكر الاستراتيجي، دار النشر: الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.

❖ طويل نسيم، الإستراتيجية الأمنية الأمريكية في منطقة شمال شرق آسيا، دراسة لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، مذكرة رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه منشورة، باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2009-2010.

❖ جون بيليس، الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة في: جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2008.

❖ د/سعيد الحسين عبدولي، الفوضى الخلاقة: ثنائية الأنا والآخر من خلال إشكالية الإسلام والديمقراطية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، تونس، جوان، 2013.

❖ دفيد كين، حرب بلانهاية، وظائف خفية للحرب على الإرهاب، نقله إلى العربية معين الإمام، ط1، الرياض، 2008.

❖ عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، 2005.

❖ السيد مصطفى أبو الخير، النظرية العامة للأحلاف العسكرية، مصر: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

❖ ممدوح ممدوح منصور، سياسات التحالف الدولي، دراسة في أصول نظرية، التحالف الدولي ودور الأحلاف في توازن القوى واستقرار الأنساق الدولية، الإسكندرية، مكتبة مدبولي، 1997.

❖ خير سالم ذيابات، دور حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، 1990-2013، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، العدد 1، سنة 2016.

❖ زهرة شيخ الشيوخ، العقيدة الإستراتيجية للحلف الأطلسي بعد الحرب الباردة (1991-2008)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير لفرع العلاقات الدولية، تخصص دبلوماسية وتعاون دولي، جامعة الجزائر دالي إبراهيم (3)، 2011-2012.

❖ د/محمد جميل الشيلخي، الإستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي في منطقة الخليج العربي، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية متحصل عليه من الموقع: <http://www.rawabetcenter.com/archives/3255>. 10:10

❖ الرفيق عبد الله الأحمر، إستراتيجية الناتو بين التاريخ والواقع، متحصل من الموقع: <http://www.baath-parth-party.org/index.php?option=com>

❖ نيكولاس بيرنز، "يبقى حلف الناتو تحالفنا الأساس" موقع الإعلام الخارجي التابع لوزارة الخارجية الامريكية على شبكة الأنترنت. <http://usinfo.state.gov>

❖ عماد جاد، حلف الأطلنطي مهام جديدة في بيئة أمنية مغايرة ، القاهرة : مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية ، 1998 .

❖ ليلي مرسي و أحمد وهبان ، حلف شمال الأطلنطي و العلاقات الأمريكية الأوروبية بين التحالف و المصلحة 1945-2000، دار الجامعة الجديدة ، 2001.

المراجع باللغة الأجنبية:

- ❖ David Hight Buru, « l'OTAN et le Défi du la paix multifonctionnel, Revue de l'OTAN, Mars, 1996.
- ❖ General Klans Nauman “la nouvelle structure de commandement militaire de l'OTAN, Revue de l'OTAN printemps 1998.
- ❖ Guangzi, « Les sept méthodes du gouvernement », cité dans XuZhenZhou (l'art de la politique légistes chinois), Paris, Economica, 1995.
- ❖ Guillaume Parmentier, « Après le KOSOV », pour un contrat trans atlantique » politique Etrangère printemps 2000.
- ❖ Le rôle de l'alliance dans les opérations de maintien et de soutien de la paix. Chapitre 16 le rôle de l'OTAN en Afghanistan document téléchargé depuis : <http://www.cairn.info>. 11/10/2016. 12 :14.
- ❖ NATO, The montra went, must go out of area out huriners (l'arme du dernier Recours).
- ❖ Rob de Wijk, « NATO » on the brink of the New Millani: The battle for consensus “Atlantic commentaries” (London, Baracey's), N°02. Spring, 1997.
- ❖ Atlantic news (10 octobre 2005) ,p.2.

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

01	مقدمة
02	1- أهمية الموضوع
02	2- أسباب اختيار الموضوع
03	3- أدبيات الدراسة
05	4- الإشكالية
05	5- الأسئلة الفرعية
06	6- حدود الإشكالية
06	7- الإطار المنهجي
08	8- الإطار النظري
10	9- الإطار المفاهيمي
12	10- تقسيم الدراسة

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي لمنطقة الشرق الأوسط

15	مقدمة الفصل الأول.....
16	المبحث الأول: المقاربة المفاهيمية والأمنية للشرق الأوسط.....
16	المطلب الأول: التعريف بمنطقة الشرق الأوسط.....
22	المطلب الثاني: المقاربات الأمنية في الشرق الأوسط.....
22	أولا- مفهوم الأمن.....
25	ثانيا- تطور مفهوم الأمن والدلالات النظرية للدراسات الأمنية.....
27	ثالثا-تعريف الإستراتيجية.....
34	المبحث الثاني: الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية للشرق الأوسط.....
34	المطلب الأول: الأهمية الجيوسياسية.....
38	المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية.....
41	استنتاجات الفصل الأول.....

الفصل الثاني:

إستراتيجية حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط

43	مقدمة الفصل الثاني.....
44	المبحث الأول: تطور الحلف بعد نهاية الحرب الباردة.....
44	المطلب الأول: التعريف بمنظمة حلف الشمال الأطلسي.....
50	المطلب الثاني: توسع الحلف بعد نهاية الحرب الباردة.....
	المبحث الثاني: الإستراتيجية الأطلسية في الشرق الوسط بعد أحداث
60	11 سبتمبر 2001.....
61	المطلب الأول: أهمية المنطقة بالنسبة للناتو.....
61	أولا: التمدد للشرق الأوسط.....
	ثانيا: التوجهات الكبرى للإستراتيجية السياسية والعسكرية في المفهوم الجديد لحلف

62	 الناتو
68	 ثالثا: إشراك روسيا
72	 رابعا: إستراتيجية حلف الناتو في منطقة الشرق الأوسط
78	 المطلب الثاني: تدخلات الناتو في المنطقة [افغانستان و ليبيا]
87	 المطلب الثالث: مستقبل الحلف في المنطقة
89	 أولا: العوامل الداخلية
89	 ثانيا: العوامل الخارجية
92	 خلاصة الفصل الثاني
	 الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

الملاحق

L'OTAN est une organisation qui a été créée pour faire respecter la mise en œuvre des fonctions politiques et économiques axées sur la stratégie militaire, elle forme un noyau d'épisodes politiques de confinement, dont les États-Unis poursuivi à l'époque du président américain, "TRUMAN" afin d'encercler la menace soviétique et contenir une série d'alliances militaires, et la poursuite de l'OTAN joue son rôle pour la durée de la guerre froide.

Vraisemblablement après la désintégration de l'Union soviétique ne sont plus nécessaires et le rôle militaire de l'alliance après la fin de la programmation, mais controversée parmi les grands penseurs est le processus de passage de la doctrine militaire défensive à la doctrine militaire offensive. Les partisans de la survie de l'OTAN sur son importance à insister après la fin de la guerre. Comptage où la survie est plus importante qu'elle ne l'était pendant la guerre croient également que la poursuite de l'alliance signifie la poursuite du rôle de leadership américain comme outil institutionnel le plus important de l'OTAN pour assurer son influence et de prévenir la réapparition de la grande compétition de puissance.

La nouvelle stratégie qu'à entretenu l'OTAN (intervention pour contrer les conflits ethniques et régionaux qui menacent leur intérêts de l'extérieur de l'État), qui a vu le jour pour partager les fonctions du rôle militaire et central dans l'invasion ou de l'occupation de l'Afghanistan, l'Irak et la Libye, les soi-disant guerres pour contrôler les ressources qui sont basés sur les concepts de l'idéologie à la pensée des nouveaux conservateurs en Amérique, et leurs plans de domination cosmique, selon la philosophie du choc des civilisations, et le mélanger avec le grand capital américain (entreprises multinationales du pétrole, des armes, des mercenaires ...). Pour dominer les capacités et la richesse des peuples de la région du Moyen-Orient au concept de l'esclavage et du colonialisme, et l'ouverture des marchés industriels, et le transfert et le monopole du pétrole et du gaz, et la promotion du marché de l'armement.